نفور الظباء

هبة بندارى

A G للنشر والتوزيع
تليفون:01009930002
E-mail:a.gforpublishing@Gmail.com

المقدمة :

يتقابل البشر في رحلة الحياة .. إن طالت تلك الرحلة أو قصرت نتقابل دائماً مع أرواح نشعر معها بالإنجذاب الشديد لأول وهلة كأننا قد تقابلنا في عالم آخر أو كأننا كنا أرواح ممتزجة في الأبد ..

ونتقابل أيضاً مع أرواح أخرى نشعر معها بالنفور الشديد فنهرب منها وننفر كنفور الظباء في البوادي عند إقتراب الصياد منها ..

وفي بعض الأحيان أيضاً نظل ننفر من سجن أنفسنا كأن أرواحنا حبيسة ولن يطلق سراحها أبداً إلا عند معرفة الطريق الصحيح والسير عليه ....

وهذا الطريق دائماً وأبداً هو طريق الخير والحب وإنكار الذات واللهفة لمساعدة الآخرين وعند وضع أقدامنا على أول هذا الطريق ستحرر أنفسنا من سجنها وعندئذ نشعر بلذة الحياة ...

إهداء :

أهدي روايتي إلى أرواح جميع الشعراء وبخاصة إلى روح الشاعر الطبيب الرقيق "إبراهيم ناجي" الذي كان يعزف على أوتار النفس البشرية أعذب وأرق المقطوعات الشعرية ويا لروعته حين قال:-

لم أقيدك بشئ في الهوى ∴ أنت من حبي ومن وجدي طليق

الهوى الخالص قيد وحدة ∴ رب حر وهو في قيد وثيق

وكذلك إهدائي إلى روح أمير الشعراء " أحمد شوقي " الذي كان نبع متدفق من الشعر العربي لا ينضب أبداً والذي قال عنه " ناجي " في ديوانه "وراء الغمام " في قصيدة بعنوان " رثاء شوقي " ألقاها على قبر فقيد الشعر:

قل للذين بَكوْاعلى (شوقي) ∴ النادبين مصارعَ الشّهبِ

والهفتاه لمصر والشّرق ∴ ولدولة الأشعار والأدبِ

* * * * * * * *

الفصل الأول

إستيقظت شادن من النوم في الساعة العاشرة تماماً.. كعادتها وكان صباح جميل من أحد أيام الشتاء القليلة الدافئة ..التي تشرق بها الشمس ، كان يوم جمعة جلست في فراشها قليلاً قبل أن تنهض وأخذت تدير عينيها في غرفتها ..غرفة صغيرة ولكنها أنيقة جدرانها وردية فاتحة .. اللون الذي تعشقه وبها أثاث بسيط وأنيق سرير ودولاب وتسريحة ومكتب وتليفزيون صغير ومكتبة صغيرة بها ما تعشقه من كتب خاصة بها من كتب علم النفس ، وكذلك دواوين من الشعر العربي لمعظم شعراء العرب .. وكتب مختلفة من الأدب العربي ، وكتب القوانين الخاصة بدراستها .

مدت يدها في كسل لذيذ لتفتح جهاز الراديو الموضوع بجانبها على الكومودينو أدارته على المحطات المختلفة ، وتوقفت عند إحدى المحطات تذيع رائعة "أم كلثوم " "من أجل عينيك عشقت الهوى " كم تعشق تلك القصيدة التي تحرك كل مشاعرها الدفينة إستمرت تسمع قصيدتها المفضلة حتى إنتهت.. عندئذ قفزت شادن من فراشها ومشت حافية القدمين ثم فتحت نافذتها ونظرت إلى الخارج .. كانت غرفتها تطل على حديقة فيلا أمامهم مهجورة من زمن بعيد، نظرت شادن إلى الأشجار الخضراء والهواء يداعب أغصانها .. والشمس ساطعة .. والجو دافئ .. وقالت لنفسها :

- يا له من يوم جميل

إستنشقت بعض الهواء النقي ثم إتجهت إلى الحمام .. أخذت دشاً دافئاً ..

كعادتها كل صباح .. ثم خرجت ووقفت أمام المرآة تتأمل نفسها .. كانت شادن .. وهذا إسمها.. أسماه لها والدها لعشقه للشعر العربي القديم خاصة واللغة العربية عامة .. هذا الاسم معناه في اللغة العربية .. الظبي الصغير النافر .. كانت شادن في الخامسة والعشرين من عمرها .. أتمت دراستها في كلية الحقوق جامعة القاهرة .. كانت تكره قيود الوظيفة وتعشق الحرية لذلك فقد رفضت كل ما كان يعرض عليها من وظائف تقليدية .. كانت شادن جميلة حقاً .. فهي طويلة القامة رشيقة .. بيضاء البشرة .. مشوبة بحمرة .عيناها واسعتان بنيتان .. وشعرها كستنائي فاتح

وناعم .. متموج بطريقة طبيعية حول وجهها وعلى كتفيها ... كانت شادن ابنة لمحام مشهور .. ورثت عنه قوة الشخصية ورقة المشاعر .. فقد كان والدها يعشق مساعدة الفقراء وكان يؤمن بأن رسالة المحامي الأساسية هي مساعدة المحتاجين والدفاع عن المظلومين غير القادرين مادياً .. ورثت عن والدتها جمالها وذوقها الرائع في كل شئ .. كانت والدتها سيدة مثقفة تهوى إقتناء التحف والاثاث الفاخر .. كان لشادن كذلك أخ واحد .. هو بمثابة الصديق .. يعمل مهندس معماري ولكنه يمارس عمله بطبيعة العاشق لعمله .. وكذلك بطبيعة الفنان . لذلك كانت أعماله المعمارية على الرغم من صغر سنه .. لها طابع مميز فني رائع .

أخرجت شادن من دولابها فستان أبيض من الصوف الناعم وإرتدته سريعاً ثم وضعت على شفتيها .. بعض من طلاء الشفاه الوردي المناسب للصباح .. ثم تخللت بأصابعها خصلات شعرها .. في محاولة لتصفيفه بالطريقة التي تحبها .. ثم إرتدت حزام أسود لامع شدت به خصرها النحيل .. وسريعاً إرتدت حذائها بلونه الابيض المنقط بالأسود .. ثم تناولت حقيبة يدها المصنوعة من نفس جلد ولون الحذاء ..

القت نظرة أخيرة على هيئتها في المرآة لتتأكد من أناقتها ثم خرجت من غرفتها متوجهة إلى حجرة المائدة لتتناول إفطارها .. كانت شادن وعائلتها سوف يذهبون لقضاء يومهم في النادي كعادتهم كل يوم جمعة بعد تناولهم للإفطار .. دخلت شادن إلى حجرة الطعام .. وعلى مائدة الافطار كان يجلس أخوها مراد وقد إنتهى من تناول إفطاره ويحتسي فنجان من الشاي .. وبجواره تجلس والدتها السيدة عفت .. وهي تدهن قطعة من التوست بالجبن الابيض .. وعلى رأس المائدة يجلس والدها الاستاذ شكري إبتسمت شادن وقالت:

- صباح الخير .

رد عليها الجميع تحية الصباح وإبتسمت لها والدتها وهي تقول:

- أراكي اليوم قد إرتديتي ملابسك سريعاً ..

ضحكت شادن وقالت لوالدتها مداعبة :

- حتى لا تقولي لي أنني السبب في تأخيركم عن الخروج .. كما تقولين لي في كل مرة

ضحك الجميع ثم قال الاستاذ شكري والد شادن وهو ينهي إفطاره سريعا :

- اليوم الجو رائع .. يجب أن ننهي إفطارنا سريعا حتى لا تفوتنا تلك الشمس الساطعة

كان لكل من شادن وأخيها مراد .. سيارة صغيرة خاصة به .. ولكن بما أن الجميع وجهتهم واحدة .. فقد إستقل الجميع سيارة الأب الاستاذ شكري .. وعند وصولهم للنادي .. جلس الاب والام على مائدة هادئة يستمتعون بأشعة الشمس الدافئة .. أما مراد فقد ذهب لمقابلة خطيبته دينا .. وذهبت شادن للجلوس مع صديقتيها الوحيدتين لبنى وشاهنده .

كانت لبنى وشاهنده الصديقتين الوحيدتين تقريباً لشادن .. منذ أيام الدراسة الثانوية وكانت صداقتهم تزداد قوة يوم بعد يوم .. بحكم وجودهم معا بنادي واحد .. كذلك علاقة عائلاتهم ببعض ..

كانت لبنى الصديقة الاولى لشادن .. قد تزوجت منذ عام ونصف .. ورزقت بطفلة جميلة أسمتها نهى .. كانت لبنى قد تزوجت عن قصة حب كانت تربطها بإبن عمها منذ الطفولة .. أما شاهنده فقد خطبت منذ ثلاثة شهور .. بالطريقة التقليدية للزواج والتي لم تكن شادن مقتنعة بها وكانت دائما تقول :

- كيف يمكن للإنسان أن يتزوج من شخص لا يعرف عنه شئ ..

توجهت شادن إلى حيث تجلس لبنى وشاهنده في مكانهما المفضل من النادي حيتهما بإبتسامة مرحة شقية قائلة :

- صباح الخير يا بنات ..

ردت لبنى مبتسمة :

- صباح الخير يا شادن ..

كانت لبنى تحي صديقتها وهي تحمل طفلتها الصغيرة نهى .. والتي كانت شادن تعشقها .. حتى أنها بمجرد أن رأتها .. حملتها من أمها وقبلتها

.. وأخذت تداعب وجنتيها الناعمتين الورديتين .. والطفلة تضحك ببراءة ممزوجة بشقاوة رائعة .. جلست شادن وأجلست نهى على ركبتيها وتوجهت بالسؤال نحو شاهنده التي كانت تجلس صامتة :

- إيه مالك مكشره .. إنتي زعلانه مع حازم ولا إيه ..

ردت شاهنده قائله:

- مش عارفه حاسه إني مش فاهمه حازم خالص ..

أطلقت شاهنده زفره من صدرها .. شعرت معها شادن أن صديقتها غير سعيدة مع خطيبها ..

تدخلت لبنى في الحديث قائله لشاهنده :

- يا عزيزتي حاولي التقرب من خطيبك .. فما دمت قد وضعتي دبلة الخطوبه في إصبعك فأنت قد تحملتي مسئولية دراسة شخصية رجل .. سوف تتزوجيه في المستقبل لذلك يجب أن تدرسيه جيداً .. فالزواج مسئولية كبيرة لن تتحمليها إلا إذا كنت تفهمين جيداً من إرتبطت به .

قالت شادن برومانسية شديدة:

- وتحبه أيضاً .. أليس كذلك ألم تتزوجي أنتي يا لبنى عن حب كبير مع فؤاد منذ الطفولة

نظرت لبنى إلى شادن نظرة طويلة ثم قالت وهي تبتسم برقة لصديقتها العزيزة :

- أتعلمين يا شادن أنكي رومانسية للغاية ..

قالت شادن مبتسمة :

- نعم يا لبنى .. ولكن ألم تتزوجي أنتي عن حب عنيف ؟

قالت لبنى :

- نعم شادن .. لقد تزوجت فؤاد عن حب كبير ربط بين قلبي وقلبه .. ولكن هذا الحب لا يوصف بأنه ملتهب .. بل هو حب من نوع خاص هادئ وعميق .. إمتد على مساحة زمنية طويلة منذ الطفولة وذلك بحكم

قرابتنا .. كذلك جانب كبير من تكوين هذا الحب تدخل فيه العشرة والتعود المستمر على رؤية فؤاد منذ الطفولة حتى أصبحت لا أتصور حياتي بدونه فهو أصبح بالنسبة لي كالماء والهواء .. أشعر كأنه جزء من تكويني .

قالت شادن وعيناها تفيضان بعاطفة شديدة :

- أه يا لبنى .. لو ألتقى في حياتي بمثل هذا الحب

قالت شاهنده معترضة ومعبرة عن وجهة نظرها :

- هذا الحب لا يلتقي به كل إنسان .. فلبنى قد إلتقت بمثل هذا الحب بحكم نشأتها مع فؤاد فهو إبن عمها ولكن ليس كل قريب لنا يمكن أن نشعر معه بهذا التوافق الروحي والتفاهم التام الذي شعرت به لبنى نحو فؤاد .. فأنا يا شادن مثلاً لي إبن عم وإبن خاله ولكن لا أشعر نحوهما بأي شئ .. سوى هذا الشعور الأخوي الذي أشعر به نحو أخي محمد .. إذاً فمقابلة الحب الحقيقي لا تأتي إلا بالمصادفة البحتة والتي لا يجب أن يربط الإنسان حياته بها.. لذلك فأنا قد حكمت عقلي وقبلت خطبتي بحازم وسوف أجاهد حتى ينجح إرتباطي به بحكم العقل .

نظرت لبنى إلى شادن وقالت لها :

- وأنتي يا شادن .. أسوف تظلين هكذا ترفضين كل من يتقرب منكي .. فحولكي كثير من الشباب الناجح الجاد في الارتباط بك .. إلى متى سوف تظلين ترفضين هكذا .. العمر يجري .

قالت شادن لصديقتها :

- سوف أظل أرفض حتى ألتقيه يا لبنى

فسألتها شاهنده :

- من هو ..

ردت شادن برومانسية بالغة وعيناها تتعلقان بالأفق البعيد :

- من أحلم به .. من يحبني بحق ويهيم به قلبي بعمق .. من يسافر في وجداني .. وتنبض به أحلامي .. من سوف يكون رفيق أيامي تعانق

أحلامه أحلامي .. سوياً لا نخاف الزمن سوياً نتحدى الألم .. نمضي على درب الحياة .. يعانق هواي هواه .. يفهمني من رموش عيناي .. يعلم ما سوف أنطق به قبل أن تنطقه شفتاي .. يعلم النغم الذي تطرب له أذناي .. يشعر بالألم الذي يمكن أن تدمع له عيناي .. يكون قريب مني كقرب الزمن ..

صاحت شاهنده ولبنى في صوت واحد :

- ياه.. ياه ما هذا أنتي تحملين بداخلك نهر من الحب .

قالت شادن ضاحكة :

- ولكنه أين ياترى من سيقفز في هذا النهر

قالت شاهنده :

- ألا تجدين من بين كل هؤلاء الرجال من تنطبق عليه هذه الصفات .

قالت شادن بصوت ناعم :

- صدقيني لا أجده ولن أرتبط إلا بهذا الرجل حتى وإن ظللت أبحث عنه طول العمر.

بعد هذا الحديث نظرت شادن إلى ساعة يدها وقالت :

- ياه أنا إتأخرت على بابا وماما وإنتوا كمان مش حتروحوا

قالت لها لبنى :

- معكي حق .. زمان فؤاد عاد إلى المنزل .

غادرت الصديقات الثلاثة المائدة التي يجلسون عليها .. إتجهت شاهنده إلى منزلها سيراً على الاقدام لأنها تقطن أمام النادي مباشرة .. أما لبنى فقد إستقلت سيارتها الصغيرة هي وطفلتها الجميلة متجهة إلى منزلها ..

وعادت شادن إلى مائدة والدها ووالدتها فوجدت أخيها مراد جالس معهم فسألته :

- أين دينا خطيبتك ؟

رد عليها :

- أوصلتها إلى منزلها .
- كيف حالها ؟
- بخير

نهض الاستاذ شكري وعائلته الصغيرة متوجهين إلى منزلهم الكائن في حي المعادي الهادئ أحد أحياء القاهرة العريقة .

كان منزل الاستاذ شكري مكون من فيلا صغيرة ولكنها أنيقة تحيط بها حديقة صغيرة جميلة ومنسقة .. وكانت شادن تهوى أن تعتني بالحديقة بنفسها .. وخاصة تلك الشجرة بجوار نافذتها التي يأتي إليها كل ليلة عند السحر كروان .. كانت شادن تعشق صوته وهو يُسبح لرب الكون .. وكانت تتمنى أن تفهم ماذا يقول هذا الطائر الشجي الصوت .. والذي يردد دعاؤه أو غناؤه كل ليلة في خشوع تام تفيض معه عيناها بالدموع ..

وصلت السيارة التي تقل الأستاذ شكري وعائلته إلى فيلتهم الأنيقة .. نزل الرجل وزوجته وإبنته من السيارة وقام مراد بإدخال السيارة إلى جراج الفيلا .. لفت نظر شادن شئ غريب بالفيلا الكبيرة المهجورة الواقعة أمامهم .. كان هناك ضوء يسطع بأحد غرفها

تعجبت شادن وقالت لوالدها :

- بابا أنظر إلى الفيلا المهجورة .. من يا ترى الذي يضئ هذه الغرفة بالدور العلوي ؟

نظر والدها إلى أعلى وقال :

- أكيد يكون عم أمين البواب العجوز مفيش حد غيره بالفيلا ..

قالت شادن :

- لأ .. عم أمين يسكن في غرفة صغيرة في الحديقة .. وبعدين ده عجوز وزمانه يكون نائم .. ده بينام بدري قوي ..

قالت والدتها وهي تنظر في جزع إلى زوجها :

- بعدين .. أحسن يكون لص .. نبلغ البوليس

قال الزوج وهو يضحك :

- بوليس مرة واحدة .. كل ده علشان غرفة مضاءة بالدور العلوي .. ممكن يكون عم أمين قد نسي ضوء تلك الغرفة مضاء وممكن أيضاً بيكون ما زال مستيقظاً .. فالوقت مبكر جداً على النوم .. أو يكون قد أصابه بعض الأرق .. هيا بنا ندخل المنزل فالجو هنا بالشارع بارد جداً .

لحق بهم مراد وهم يفتحون باب الفيلا ونظر إليهم في دهشة وقال :

- أما زلتم هنا بالخارج .. ماذا حدث ؟

قالت والدته وهي تشير إلى الغرفة المضاءة بالفيلا المهجورة قائلة :

- نظر مراد إلى الغرفة المضاءة وقال :

- ليس هناك ما يدعو لهذا القلق .. قد يكون عم أمين ما زال مستيقظاً .

كان الاستاذ شكري قد فتح باب الفيلا ودخل الجميع إلى المنزل الدافئ .. كانت الفيلا من الداخل مكونه من طابقين .. الطابق الأول به قاعة كبيرة لاستقبال الضيوف .. كانت جدرانها من اللون الأبيض .. وأرضيتها من السيراميك الابيض المشوب باللون الوردي .. وكان الاثاث في تلك القاعة من اللونين الابيض المطعم بالوردي الفاتح والغامق أما أرضية الغرفة فكان مفروش فوقها سجادة ناعمة من اللون الوردي الخالص المشوب بتجعيدات زرقاء غامقة .. كانت القاعة كذلك متناثر بها كمية كبيرة من نباتات الظل الرائعة بأنواعها المختلفة والتي كانت تصنع بلونها الأخضر مع جدران القاعة البيضاء تناغم وإنسجام رائع يُشعر كل من يدخل تلك القاعة براحة نفسية كبيرة .. كذلك كانت إحدى الجدران تحتلها مرأة كبيرة تعكس بداخلها القاعة بمفروشاتها ونباتاتها فيعتقد كل من يدخل القاعة لأول وهلة بأن القاعة ضعف مساحتها الحقيقية .. كذلك يوجد على جانبي القاعة أباجورات تعكس بضوئها الذهبي دفء على القاعة .. كان لوالد شادن حجرة مكتب تقع على اليمين بجوار السلم الصاعد للدور العلوي .. كان أثاث غرفة المكتب من اللون البني الداكن ومكون من مكتب وكنبة جلدية وبجوارها كرسيان من الجلد كبيرين ومكتبة كبيرة .. أما يسار القاعة

فكانت غرفة المائدة بلونها النبيتي الداكن .. أما السلم الصاعد إلى الدور العلوي فلم يكن عالياً فقد كان مكون من سبع سلمات فقط .. والطابق العلوي توجد به غرف النوم الثلاث .. غرفة نوم الاب والام وكانت أكبر من غرفة نوم شادن وكذلك غرفة نوم مراد .. كانت الفيلا بتصميمها ومفروشاتها تنم عن ذوق راق ورائع كانت تتمتع به السيدة عفت والدة شادن والذي نقلته إلى شادن فكانت هي الأخرى تتمتع بذوق رائع في كل شئ .

صعد الجميع إلى غرف نومهم حيث بدلوا ثيابهم بثياب المنزل المريحة ثم نزلوا إلى غرفة الطعام حيث تناولوا عشائهم .. دخل الأستاذ شكري بعد ذلك إلى غرفة مكتبه للقراءة كعادته كل ليلة قبل صعوده للنوم .. أما مراد فصعد إلى غرفة نومه حيث أنه كان مشغول بإنهاء بعض التصميمات الخاصة بعمله ..أما شادن فقد دخلت إلى غرفتها وفتحت جهاز الراديو لتسمع بعض الموسيقى الهادئة .. ثم تناولت ديوان من الشعر العربي القديم الذي تعشقه وكان ديوان للشاعر العربي "العباس بن الأحنف " أحد شعراء العصر العباسي .

ودخلت والدة شادن إلى غرفة نومها وفتحت جهاز التليفزيون لتشاهد برنامجها المفضل

أستمرت شادن تقرأ في ديوان " العباس " وهي غير شاعرة بما حولها هائمة بين السطور كأنها تسبح بها .. فقد كان ديوان " العباس بن الأحنف " ديوان كامل من شعر الحب ليس فيه أي مكان لغرض آخر من الاغراض التقليدية في الشعر العربي القديم كالمدح والهجاء والرثاء والفخر إستمرت شادن تسبح في بحور الشعر حتى وصلت إلى بعض الابيات التي يقول فيها :

أفسد قلبي شادنُ أحورُ ∴ يسحر بالعينين وبالثغرِ

لو كنت أدري أنه ساحر ∴ علّقت تعويذاً من السحر

إبتسمت شادن عند قراءة تلك الأبيات وقالت في نفسها :

- أه .. يبدو أن هذا الشاعر ينشد لي أنا تلك الأبيات .. ألست أنـا شـادن ..

ثم قهقهت ضاحكة ضحكة مرحة شقية قامت بعدها لتستسلم لسلطان النوم .

* * * * * * * *

الفصل الثاني

كانت الساعة الواحدة بعد الظهر عندما إنتهت شادن من عملها بحديقة المنـزل .. حيـث كانـت تعشـق الاعتنـاء بـأحواض الزهـور والأشـجار الموجـودة بالحديقـة .. وعنـدما همـت بـدخول المنـزل وصـل إلـى مسـامعها صـوت موسيقي كلاسيكيه تنساب من الفيلا المهجورة التي أمـامهم إندهشـت شـادن وإقتربـت مـن بـاب حديقـة منـزلهم لتستوضـح الأمـر .. فنظـراً لهـدوء حي المعادي عامة وهذا الشارع خاصة فقد كان أي صوت يسمع به ..

قالت شادن لنفسها :

- مـا هـذا ؟! .. صـوت موسـيقى كلاسـيكيه مـن الفـيلا المهجـورة .. مستحيل يكون عم أمين .. فهو رجل بسيط كيف له أن يفهم مثل هذا النـوع من الموسيقى .. لابد أن أتبين هذا الامر خرجت شادن من بـاب الحديقـة وعبرت الشارع الضيق .. وتوجهت نحو باب الفيلا المهجورة ونادت علـى عم أمين البواب العجوز :

- عم أمين .. عم أمين أنا شادن

لم يجب عليها أحد فقالت في نفسها :

- ربمـا يكـون بـداخل الفـيلا .. سـوف أذهـب إليـه فهـو يحبنـي وسـوف يفرح لأني أتيت لزيارته دخلت شادن من باب الفيلا الخارجي ومشت حتـى وصلت إلى وسط الحديقة وأخذت تتلفت يميناً ويساراً فلم تجد أحد .. ولكن صـوت الموسيقى كـان قـد أصـبح أكثـر وضـوح وكـان ينسـاب عبـر إحـدى الحجرات في الطابق الاول من الفيلا .. تملك الفضـول من شـادن فأخذت تسير حتى وصلت إلى شرفة الحجرة التي تنساب منها الموسيقى .. كانـت الشرفة مفتوحة قليلاً ..

قالت شادن لنفسها :

- الشرفة مفتوحة وليست عالية يمكنني القفز بداخلها وتبين الأمر ..

وضـعت شـادن إحـدى قـدميها علـى حافـة الشـرفة وأمسـكت بطـرف الشرفة وقفزت داخلها واقتربت من باب الشرفة كـان مفتـوح تقريبـاً ففتحتـه ودخلت إلى الغرفة ثم وقفت تتأملها .. كانـت المـرة الاولـى التـي تـرى فيهـا

شادن الفيلا من الداخل .. حقاً كانت تأتي إلى الفيلا كثيراً هي وأخيها مراد وهم صغار لكنهم كانوا يلعبون بالحديقة فقط وكان عم أمين يفرح عندما يأتون إليه .. فهو رجل وحيد لم يتزوج أبداً وليس لديه أقارب ولذلك كان يفرح بهم ويقطف لهم من ثمار المانجو الموجودة بالحديقة .. لذلك لم تتعد شادن وأخيها مراد حدود الحديقة أبداً ولم يحاولوا من قبل دخول الفيلا . وكل ما تعرفه شادن عن مُلاك تلك الفيلا هو ما عرفته من والدها ذات يوم .. عندما سألته بدافع الفضول .. وكان ذلك منذ عدة سنوات :

- بابا إيه حكاية هذه الفيلا المهجورة .. لم نرى بها أحد من قبل سوى عم أمين الحارس العجوز أليس لها ملاك ..

قال الاستاذ شكري لإبنته وهو ينظر إلى الفيلا من خلال الشرفة :

- لا أدري يا شادن بالتحديد .. ولكن لابد أن لها ملاك بالطبع .. أنا كل ما أعرفه عن تلك الفيلا كان من خلال عم أمين .. فعندما إشتريت هذه الفيلا التي نسكن بها منذ عشرون عاما وكان عمرك وقتذاك خمس سنوات .. كانت تلك الفيلا كما هي الان ليس بها أحد سوى عم أمين .. وعندما جئنا لنستقر بفيلتنا جاء عم أمين للتعرف بنا بحكم أننا جيران وعندما سألته عن سكان الفيلا قال وقد بدا عليه الحزن الشديد ولمعت الدموع في عينيه :

- لقد سافروا إلى خارج البلاد ..

وعندما سألته :

- وأنت ياعم أمين .. من أين تعيش ألهم أقارب يدفعون لك راتب ؟

قال عم أمين :

- لا ليس لهم أقارب تقريباً .. ولكن الدكتور صبري قد ترك لي قبل سفره مبلغ كبير من المال أودعته بالبوسته وأصرف منه كل شهر المبلغ الذي أريده من المال .. وسوف أظل أحرس لهم هذه الفيلا وأعتني بالحديقة وأنظف الاثاث من الداخل لتظل كما هي حتى آخر دقيقة من عمري ..

فقلت له والكلام لوالد شادن :

- إذاً .. فمالك الفيلا طبيب ..

قال عم أمين باقتضاب كأنه لا يريد مزيد من الأسئلة :

- نعم ..

وعندما سألته مرة أخرى :

- ألا تعرف عنهم شئ منذ سفرهم .. ألا يراسلونك

قال عم أمين :

- لا يرسلون خطابات .. ولكن الدكتور صبري يتصل بي بالتليفون من الخارج ليطمئن علي من وقت لآخر.

بعد هذا الحديث نهض عم أمين واقفاً ثم إستأذن وإنصرف ..

كانت شادن تتذكر ما قاله لها والدها عن هذا الحديث الذي دار بينه وبين عم أمين من عدة سنوات وهي واقفة تتأمل الغرفة التي قفزت من شرفتها .. كانت غرفة مكتب مكونه من مكتب كبير بني اللون مقابضه من النحاس وخلفه مكتبة كبيرة .. وكان معلق على حوائط الغرفة بعض اللوحات الزيتية التي تنم عن ذوق فريد لأصحاب تلك الفيلا .. كانت الموسيقى التي أتت بشادن إلى الفيلا تنساب عبر جهاز تسجيل كبير وحديث إندهشت شادن وقالت لنفسها :

- هذا جهاز تسجيل حديث النوع .. يا للعجب ما الذي أتى به إلى هنا والفيلا مهجورة منذ عشرون عام .. لا يمكن أن يكون عم أمين .. كذلك لا يمكن أن يكون هو من يتذوق مثل هذا النوع من الموسيقى من يكون إذاً ؟!

كانت شادن غارقة في تأملها للغرفة وفي تساؤلاتها فلم تشعر بمن دخل الغرفة ووقف خلفها مباشرة .. إلا عندما جاءها من الخلف صوت عميق به رنة سخرية يقول :

- هذه عملية سطو ..

تسمرت شادن للحظات في مكانها قبل أن تستدير ببطء لترى محدثها .. وقفت أمامه وجهاً لوجه ولكنها لم تستطع أن تنبس بكلمة .. أعطاه صمتها الفرصة ليتأملها .. كانت شادن ترتدي بنطلون أسود اللون وبلوفر

أحمر اللون منقط بالاسود قصيراً يصل إلى خصرها ذو رقبة عالية أما شعرها فكان متناثر حول وجهها وعلى كتفيها في فوضى رائعة ..

وقفت شادن هي الأخرى بدورها تتأمله وهي مبهورة كأنها رأته من قبل .. كأنها تعرفه .. لكنها لا تتذكر أبداً أنها رأت هذا الرجل من قبل !! كان طويل القامة .. ممشوقاً .. عيناه ساحرتان بلونهما العسلي المشوب بإخضرار .. نظراته تنفذ إلى الأعماق .. لون بشرته برونزي .. أما شعره فكان في لون الدخان .. فهو أسود ناعم متناثر به شعيرات بيضاء .

وكان يرتدي بنطلون أسود اللون ومن فوقه قميص أبيض ناعم يعكس لون بشرته البرونزية بشكل رائع .. كانت أزرار قميصه العلوية مفتوحة مما جعل شادن ترى رقبته وجزء من صدره .. لا تدري لما إندفعت الدماء حارة إلى وجنتيها فجأة وشعرت بالحرارة تجتاحها لمجرد أنها رأت جزء من صدره .. أفاقت شادن على صوته يقول لها :

- من أنتِ

شعرت شادن بالخجل الشديد وقالت لنفسها :

- يا ويلي .. أتراه قد شعر بالحرارة التي تجتاحني

أفاقت مرة أخرى على صوته ولكن هذه المرة كان في غاية الرقة :

- من أنتِ

قالت متلعثمة :

- أنا شادن ..

نظر إليها بدهشة وهو يقول :

- شادن ! أهذا إسمك .. يا له من إسم جميل ولكن ترى ما معناه ؟

قالت شادن بخجل وقد إحمرت وجنتاها :

- معناه الظبي الصغير النافر ..

نظر في عيناها حتى شعرت أن نظراته قد نفدت إلى أعماقها وإقترب منها ببطء وهو يقول بصوت رقيق:

- أنت تحملين هذا الاسم الجميل ولكن أتراك أيضاً تحملين صفاته ..

وجدته شادن قد إقترب منها كثيراً فتراجعت دون تفكير إلى الخلف بعنف جعله يقول لها مندهشاً :

- لما تتراجعين هكذا .. أنا لن أؤذيك .. فقط أرى خصلة من شعرك تكاد تدخل بإحدى عينيك فأردت أن أزيحها عن وجهك .

شعرت شادن بخصلة شعرها وهي تكاد تخترق عيناها اليسرى فأزاحتها بعيداً عن وجهها بعصبية وهي تتمتم بصوت خافت :

- أنا أسفة ..

ضحك الرجل الغريب ضحكة عالية وهو يجلس على الكرسي في إسترخاء وقال :

- أنتي حقاً ظبي صغير نافر..

إحمرت وجنتا شادن من الغضب وقد شعرت أنه يسخر منها فقالت له :

- من أنت حتى تكلمني بهذه اللهجة الساخرة ..

فقال لها بجديه وهو يدعي الغضب :

- أنا من يجب أن أوجه لكي هذا السؤال .. من أنتِ وبأي صفة تقتحمين منزلي .

قالت شادن بدهشه :

- منزلك ! أنت إذا الدكتور صبري .

رفع حاجبيه علامة الدهشه وقال :

- أتعرفين والدي

قالت شادن :

- والدك .. لا لقد سمعنا عنه فقط من عم أمين

قال لها الرجل الغريب وهو يتفحصها جيداً :

- أتعرفين عم أمين أيضاً ..

قالت شادن مؤكدة :

- بالطبع أعرف عم أمين .. فنحن نملك الفيلا المقابلة لكم

قال وهو ينظر عبر النافذه إلى فيلا شادن :

- هكذا .. أنتم إذا جيران لنا .. فيلتكم هذه التي يأتي إليها الكروان كل ليلة قبيل الفجر

قالت شادن بفرحة :

- الكروان .. نعم هو يأتي كل ليلة إلى الشجرة التي توجد بالقرب من نافذة حجرتي ولكن كيف عرفت بأمر الكروان ..

قال وهو يبتسم :

- أعشق صوته يا شادن .. وعندما كان يغرد بالامس كنت لا أزال مستيقظ فقمت إلى الشرفه لأستطلع من أين يأتي صوته .. فخيل إلى أنه يأتي من تلك الفيلا التي أمامنا .. فيلتكم لقد سمعت صوته ثلاثة مرات على مدار ثلاثة ليال .. فمنذ وصولي منذ ثلاثة أيام وهو يأتي كل ليلة في نفس الموعد تقريبا ..

نظرت إليه شادن وهي تبتسم وقد شعرت بألفة نحو هذا الرجل الغريب وقالت له

- ولكن إلى الأن لا أعرف إسمك ..

إبتسم في وداعة وهو يرد على سؤالها في أدب :

- إسمي رؤوف صبري .. والدي هو الدكتور صبري عبد الرحمن مالك هذه الفيلا

قالت شادن بفرحة طفولية :

- أه .. أخيراً رأيت أحد ملاك هذه الفيلا المهجورة .. أتعلم أن فيلتكم هذه قد نسجل حولها الكثير من القصص هنا في حي المعادي .

قال لها رؤوف :

- كيف ..

ضحكت شادن وهي تقول :

- البعض يقول أن بها عفاريت .. والبعض الآخر يقول أنها كانت ملك لأحد أمراء العائلة المالكة وأنه قد رحل عن مصر عقب قيام الثورة .. وهكذا كل فرد يحكي رواية من تأليفه عن الفيلا ..

قال رؤوف :

- يا لفضول الناس ..

قالت له شادن :

- ولكن لما تغلقون مثل هذه الفيلا الرائعة ولا تعيشون بها .. أكنتم مسافرون إلى الخارج .

نظر إليها رؤوف نظره طويله حتى تمنت شادن أنها لو لم تكن قد سألته هذا السؤال ثم قال لها وقد طافت بعيناه سحابة من الحزن سرعان ما غطت وجهه.

وإنعكست على صوته وهو يقول كأنه يهرب من الأجابه :

- أنا لم أقم بواجب الضيافة تجاهك .. وأنتي ضيفه في منزلي أستأذنك بضع دقائق غاب رؤوف لحظات ثم عاد وهو يحمل صينية عليها كوبان من عصير المانجو قدم لها كوب وجلس هو يرشف من الكوب الآخر .. أحست شادن أنها تدخلت فيما لا يعنيها فأحبت أن تغير الموضوع فقالت له في مرح :

- أتعلم أن تلك الموسيقى هي التي قد أتت بي إلى فيلتكم ..

نظر رؤوف نحو جهاز التسجيل وقال لها :

- كيف ؟

قصت له شادن ما حدث منذ كانت بحديقة منزلها .. وحتى قفزها من الشرفة إلى داخل فيلا الدكتور صبري .

ضحك رؤوف من قلبه وهو يقول لها :

- أحقاً قفزت من الشرفة

قالت شادن بشقاوه وهي تضحك من قلبها بصوت رنان كأنها طفلة في الثالثة من عمرها :

- نعم .. فأنا أهوى القفز من الشرفات .. وتسلق الأشجار

نظر إليها رؤوف بإعجاب وهو يقول :

- يا لكي من طفلة رائعة ..

قالت شادن وقد إستفزتها كلماته :

- أنا لست طفلة .. أنا سوف أكمل الخامسة والعشرين من عمري

أسند رؤوف يديه على مقبض كرسيه وقال لها :

- ولكنك طفلة بالنسبة لي .. أتدرين كم عمري ..

نظرت إليه شادن وهي تتسائل :

- كم ..

قال رؤوف :

- أنا في الثامنة والثلاثين ..

قالت شادن وهي تنظر بإنبهار إلى خصلات شعره الدخانية اللون :

- ولكنك في أروع فتره من عمر الرجل .. الفترة التي يجمع فيها بين جموح الشباب وحرارته وجنونه وبين نضوج المشاعر وعنفوان الرجولة والعقل الراجح في هذا العمر يعرف الرجل كيف يعامل المرأة .. وكيف يسعدها

كانت شادن تتحدث إليه وهي تنظر بعيناه وهو بدوره كان ينظر بعيناها

فرغا من حديثهما ولكن نظراتهما لبعضهما ظلت متشابكة لا تنتهي كأن هناك حديث آخر يتم بين روحيهما لا يدريان عنه شئ .. لم يعلما كم مضى من الوقت وهم ينظران لبعضهما هكذا مشدودان ولا يعرفان السبب ..

لحظات .. دقائق .. ساعات لم يفيقا إلا على صوت عم أمين عندما دخل الغرفة وهو يقول :

- لقد إشتريت معجون الحلاقة الذي طلبته ..

وهنا إنتبه عم أمين لوجود شادن فنظر إليها مندهش وهو يقول :

- شادن .. أنتي هنا

إبتسمت شادن لعم أمين وهي تنهض وافقة :

- نعم يا عم أمين .. لقد جئت لأطمئن عليك ولكن لم أجدك وقد تعرفت بالاستاذ رؤوف

إبتسم عم أمين فرحاً ونظر إلى رؤوف وهو يقول :

- حقاً ..

مدت شادن يدها إلى رؤوف وهي تودعه قائلة :

- فرصة سعيدة أني تعرفت بك يا أستاذ رؤوف

ضغط رؤوف على يد شادن وهو يودعها وقال لها بصوت حاول أن يجعله طبيعياً وهادئاً فقد كان هو الآخر لا يعرف سبب توتره أمامها :

- أنا أيضا سعيد بتعرفي بك

ودعت شادن عم أمين بمرح وخرجت مسرعة إلى منزلها .. كانت تريد أن تدخل غرفتها بأسرع وقت .. ترغب أن ترتمي على فراشها ..

دخلت شادن إلى منزلها وصعدت إلى غرفتها وإرتمت على فراشها وهي تبتسم لاتدري لما هي سعيدة .. أه ما هذا الذي تشعر به .. لا تدري بما تسميه أهو شعور بالنشوة لا تدري .. ظلت شادن هكذا مستلقية على فراشها تحدق بسقف غرفتها وتبتسم لا هي بالنائمة ولاهي مستيقظة .. كأنها منومة مغناطيسياً حتى أفاقت على صوت أمها وكانت قد دخلت الحجرة ووقفت أمام فراش شادن دون أن تشعر بها :

- شادن ما بك يا حبيبتي .. أنتي مريضة

قالت شادن وهي تنهض من الفراش وتقبل أمها :

- لا يا ماما أنا لست مريضة .. أنا فقط أشعر بالجوع الشديد .. أين الغداء

نظرت إليها أمها وهي مندهشة لحالها وقالت :

- الطعام معد على المائدة .. لقد ناديت عليكي كثير حتى تأتي لتناول الغداء .. لكنك لم تجيبي علي فصعدت لأرى ما بك .. خاصة أنني لمحتك وأنتي تصعدين غرفتك .

قالت شادن وهي تمسك بيد أمها :

- إذا هيا بنا .. فأنا جائعة جداً ..

* * * * * * * *

الفصل الثالث

كان اليوم التالي .. وكانت الساعة الثانية عشرة ظهراً عندما إنتهت شادن من إرتداء ملابسها إستعداداً للخروج .. فقد كانت ترغب في الذهاب إلى إحدى المكتبات لإنتقاء بعض الكتب التي كانت تود قراءتها .. نظرت شادن في المرأة لتطمئن على مظهرها النهائي .. كانت ترتدي فستان وردي اللون .. من صوف التريكو الناعم له رقبه عاليه بيضاء مشوبة باللون الوردي .. وفي قدميها كانت ترتدي حذاء شتوي أنيق ذو رقبة عالية (بوت) لونه أبيض .. أما شعرها فقد أسدلته وقد رفعت جانبا منه بفيونكه صغيره ورديه اللون .. وإرتدت في أذنيها قرط وردي خرجت شادن من المنزل وكانت تستعد لركوب السيارة عندما لمحت رؤوف وهو يخرج من باب فيلته متجه إليها .. إرتبكت بعض الشئ لا تدري لماذا ؟ عندما وصل إليها رؤوف حياها بإبتسامة رقيقة قائلاً :

- صباح الخير يا شادن ..

ردت عليه وهي تبتسم :

- صباح الخير يا أستاذ رؤوف

رفع رؤوف يده علامة الاعتراض .. وهو يقول لها في مرح :

- رؤوف فقط بدون ألقاب .. ألم أناديك باسمك مجرد

هزت رأسها علامة الموافقة وهي تقول ضاحكة :

- رؤوف فقط بدون ألقاب

ضحك رؤوف لشقاوتها وقال لها :

- أتسمحين لي بدعوتك على فنجان من الشاي بالحديقة .. أم أنكي في عجلة من أمرك

قال شادن :

- لقد كنت ذاهبة إلى إحدى المكتبات لشراء بعض الكتب ..

قال لها رؤوف :

- إذاً هو مشوار يمكن تأجيله ..

نظرت شادن إلى رؤوف وقد لمحت في عيناه رجاء لها بقبول دعوته فقبلت دعوته وهي تقول :

- نعم هو مشوار يمكن تأجيله ..

سارت شادن مع رؤوف حتى دخلا حديقة الفيلا .. أشار لها رؤوف بيده قائلاً

- تفضلي ..

نظرت شادن نحو إشارة رؤوف فوجدته قد أعد مائدة في وسط الحديقة وضع عليها مفرش أبيض به رسومات لزهور ملونه .. وقد وضع في وسط المائدة فازه بها زهور طبيعية من الحديقة .. جلست شادن وهي تنظر نحو المفرش وتقول :

- يا له من مفرش جميل

قال رؤوف :

- نعم .. ولكن لونه الابيض قد إصفر كثيراً بفعل الزمن

ردت عليه شادن وهي تنظر إلى المفرش بإعجاب :

- ولكنه ما زال رائع .. أهذه الزهور مشغولة باليد ..

قالت ذلك وهي تتحسس الزهور المنقوشة على المفرش .. قال لها رؤوف :

- نعم يا شادن .. هي شغل يد .. فأمي رحمها الله كانت تهوى أعمال الكنافاه ..

لقد وجدت هذا المفرش بأحد دواليب الفيلا ضمن مجموعة من المفارش الأخرى ..

نظرت شادن إلى عيناه وقد لمحت بهما سحابة من الحزن شعرت بها أيضاً في رنة صوته :

- رحمها الله .. يبدو أنها كانت فنانة رقيقة المشاعر

نظر إليها رؤوف في صمت كأنه يرجوها أن تغير الموضوع .. وقد أحست به شادن فغيرت الموضوع بالفعل .. إبتسمت وهي تقول في مرح :

- يبدو أن فنجان الشاي كان إشاعة

ضحك رؤوف من قلبه وهو ينهض قائلاً :

- سأحضره على الفور ..

قالت شادن مداعبة :

- أتريد مساعدة ..

قال رؤوف برقه :

- لا أنتي ضيفتي .. سأعود فوراً .

كانت شادن تتابع رؤوف بعيناها وهو يدخل الفيلا .. كان يسير بخطوات ثابتة واثقة .. أعجبتها طريقة سيره بكبرياء .. إبتسمت شادن برقه وهي تتذكر بعض الأبيات لشاعرها المفضل " إبراهيم ناجي " من رائعته " الاطلال " يقول فيها :

أين من عيني حبيب ساحر ∴ فيه نبلُ وجلالُ وحياءْ

واثقُ الخطوةِ يمشي ملكاً ∴ ظالمُ الحسنِ شهيَّ الكبرياءْ

عبقُ السحرِ كأنفاسِ الربى ∴ ساهمُ الطرفِ كأحلامِ المساءْ

مشرقُ الطلعةِ في منطِقِه ∴ لغةَ النورِ وتعبيرَ السماءْ

كانت شادن شاردة تفكر وتسترجع في ذاكرتها رائعة ناجي " الاطلال " فلم تشعر بمجئ رؤوف حتى أفاقت على صوته ضاحكاً وهو يقول :

- يا ترى فيما هذا الشرود

خجلت شادن أن تقول له أن طريقة سيره بثقة وكبرياء قد ذكرتها بأبيات ناجي فابتسمت وهي تقول له في صوت هادئ :

- الشمس الدافئة .. والحديقة بأزهارها وأشجارها الرائعة والهدوء هنا في حي المعادي يشجع على الاسترخاء

جلس رؤوف وهو يقول :

- أتدرين يا شادن أن الانسان في عصرنا هذا الملئ بالضوضاء .. وإيقاع الحياه السريع في كل شئ .. والقلق النفسي والتوتر العصبي أصبح لا يشعر بالاسترخاء في حياته إلا في أوقات قليلة جداً

قالت شادن :

- أنا يا رؤوف أشعر بالاسترخاء وقتما أريد ..

نظر إليها رؤوف مندهشاً وهو يقول :

- أحقاً يا شادن .. كيف

قالت له في مرح :

- أتريد أن تعلم سر الاسترخاء

قال رؤوف ضاحكاً :

- نعم .. أخبريني من فضلك أين هذا العلاج السحري

قالت شادن بثقة :

- اليوجا ..

نظر إليها رؤوف وهو يردد :

- اليوجا :

قالت شادن وهي تؤكد :

- نعم اليوجا يا سيدي ألا تعرفها

قال رؤوف :

- بالطبع أعرف أنها إحدى أنواع الرياضة .. ولكن لا أعرف عنها الكثير

قالت شادن وهي تنظر إلى الشاي الذي أحضره رؤوف :

- سوف أحدثك عنها فهي رياضتي المفضلة .. ولكن بعد أن أشرب الشاي

ضحك رؤوف وهو يصب الشاي في فنجان شادن ثم قدم لها طبق به بسكويت لذيذ وهو يقول :

- والأن حديثني عن اليوجا .. فأنا أريد أن أعرف كيف يمكنني الاسترخاء وقتما أريد

نظرت شادن بجدية إلى رؤوف وهي تقول :

- اليوجا يا سيدي رياضة جسدية نفسية فكرية فيها يخضع الانسان جسده بوظائفه الاراديه طبعاً واللاراديه بالسيطرة العصبية إلى محض إرادته .. يعني مثلاً البلاد الغربيه يتفشى فيها التعب والاعياء والانحطاط العصبي وتغص العيادات النفسية بالمرضى وفي هذه البلاد يكثر القلق والتعقيد النفسي لدرجة أن الناس يشعرون بأنفسهم كأنهم ممزقين ومكبلين وغير مالكين لأنفسهم ومن هنا يفقدون الاحساس بالسعادة ففي هذه الحالات تكون اليوجا دواؤهم فهي تمكنهم من تهدئة وتسكين إضطرابهم وهياجهم الداخلي . فتكمل شخصيتهم بأن تتحرر من أوهامها وتصل إلى توازنها مع العالم الخارجي .

نظر إليها رؤوف وقال مستفسراً :

- إذاً اليوجا هي فلسفة

قالت شادن :

- كلا .. اليوجا ليست فلسفة ولا تحتوي على سر خفي روحاني مغناطيسي أو بوذي كما يقال عنها في الغرب .. كلا أبداً إنما هي ببساطة نوع من الرياضة فهي حالة عقلية يجب الوصول إليها عن طريق التمارين المستمرة للجسد وللتنفس كذلك يجب أن تتعلم التركيز عن طريق تثبيت الفكر على شئ معين ، يجب كذلك أن تتعود على التأمل مما يساعدك على الهدوء النفسي العميق بهذا تتعلم الصبر والهدوء النفسي والاسترخاء وقتما تريد .

سألها رؤوف بشغف :

- وما هي التمارين المطلوبة

قالت له ضاحكة :

- فقط (84) ألف تمريناً فلا تيأس

قال رؤوف مندهشاً :

- ماذا ..

ضحكت شادن وقالت :

- هذا فقط عدد نظري ولكن في الحقيقة يوجد (84) تمرين ولكن يستعمل منها للممارسة لأي فرد أربعون .. سوف أحضر لك كتاب به تمرينات لليوجا ولكنها تتطلب الصبر .

قال لها رؤوف :

- حسناً سوف أنتظر هذا الكتاب

نظرت شادن برقه إلى رؤوف وهي تقول :

- أتدري يا رؤوف إنني حتى الأن لا أعرف ماذا تعمل ولا في أي بلد كنت تعيش .

قال رؤوف وهو ينظر إلى شادن ويبتسم :

- معكى حق .. أنا حاصل على الدكتوراه في مجال إدارة الاعمال من جامعة مانشستر بانجلترا حيث كنت أعيش أنا ووالدي بانجلترا طيلة العشرون عام الماضية

قالت شادن باهتمام وهي تريد أن تعرف المزيد عنه :

- إذاً أنت تعمل في مجال التدريس الجامعي

قال رؤوف :

- لا .. أنا أعمل في مجال الاستيراد والتصدير

قالت شادن :

- عجباً .. إنه مجال بعيد تماماً عن مهنة الطب التي يعمل بها والدك .. لماذا لم تدرس الطب مثل والدك .

قال رؤوف :

- أنا لا أفضل العمل في مهنة الطب .. ثم إن والدي رحمه الله كان قد إعتزل مهنة الطب منذ اكثر من عشرون عام وكان هو أيضاً يعمل بمجال الاستيراد والتصدير

قالت له شادن بأسف :

- أنا أسفة يا رؤوف لم أعلم أن والدك قد توفى

قال لها رؤوف في صوت حاول أن يجعله هادئاً :

- لقد توفى منذ أكثر من خمس سنوات

عادت شادن لسؤاله بفضول وإهتمام :

- ولكن لماذا كان والدك قد إعتزل مهنة الطب

قال لها رؤوف بعصبية :

- هذا شأنه ..

ثم نظر لها وقال محاولاً السيطرة على عصبيته التي إندهشت لها شادن :

- منذ حوالي عشرون عاماً قرر والدي بعد وفاة والدتي رحمها الله أن يترك مصر ويسافر إلى إنجلترا .. فقد كان لديه صديق عزيز يعرفه منذ الطفولة كان قد هاجر إلى إنجلترا وكان يمتلك شركة للاستيراد والتصدير ..

صمت رؤوف قليلاً كأنه يستجمع أفكاره وإحترمت شادن صمته فلم تحاول مقاطعته .. كان رؤوف صامتاً وينظر إلى الافق البعيد شارداً وبعينيه نظرة حزن عميق تمنت شادن لو تعرف سببها .. وأخيراً قررت شادن إخراجه من هذا الشرود فقالت له في صوت يشبه الهمس :

- رؤوف .. أنا أسفة لقد ضايقتك بأسئلتي

نظر إليها رؤوف وفي عينيه نظرة رائعة هي مزيج من الحزن والعتاب والاعجاب وقال لها :

- لا يا شادن .. لا تأسفي أنا فقط تذكرت والدي .

ثم تنهد وهو يكمل لها :

-عند ما قرر والدي السفر إلى الخارج كان يريد مبلغاً كبيراً من المال معه .. لذلك قام ببيع ممتلكاته كلها ما إشتراه هو .. وما كان قد ورثه عن والديه .. وعندما سافرنا إلى إنجلترا إستقبلنا صديق والدي .. وأقمنا لديه فترة قبل أن يشتري والدي فيلا صغيرة بأحد ضواحي لندن .. وبعد إستقرارنا تحدث والدي مع صديقه بشأن إستثمار ماله في مشروع تجاري .. فلم تكن التجارة وإستثمار الاموال بعيده عن والدي تماماً فقد كان جدي لوالدي من اكبر رجال الاعمال .. لذلك عندما عرض صديق والدي عليه دخوله شريكاً معه في شركته قبل والدي على الفور ..

قالت له شادن :

- ولكن لماذا لم ينشئ والدك مشروع خاص به .. بدلاً من وجود شريك معه

قال لها رؤوف مفسراً :

- إن هذه الشركة بها مصلحة للطرفين ..

قال له شادن :

- كيف .. إن وجود شركاء في الاعمال التجارية ينشأ عنه الكثير من المشاكل يمكن للفرد تلافيها لو كان المشروع خاص به وحده .

قال رؤوف :

- ليس دائماً يا شادن .. إن الشركة بين شريكين أو مجموعة شركاء أحياناً يكون لها فوائد كثيرة لو تمت هذه الشركة بطريقة صحيحة وبها كافة الضمانات القانونية لحماية الشركاء وقبل ذلك يجب أن تتوفر المصلحة المتبادلة للشركاء

قالت له شادن مستفسرة :

- ماذا تقصد بوجود مصلحة متبادلة ..

قال رؤوف :

- سوف أوضح لكي .. إن والدي مثلاً وصديقه عندما قررا أن تكون بينهما شركة كان لكل منهما مصلحة خاصة به سوف تتحقق بإقامة هذه الشركة .. فمصلحة والدي كانت في إستثمار ماله في مشروع تجاري ناجح .. وهذا المشروع كان لدى صديق طفولته الذي يمتلك شركة ناجحة لأعمال الاستيراد والتصدير لها إسم تجاري ناجح كما أن صديقه يمتلك الخبرة التجارية والاستثمارية التي يفتقدها والدي .. كما أنه على دراية بكافة قوانين تلك البلد .. إذاً فالذي يمتلكه والدي بالنسبة لاقامة مشروع تجاري هو رأس المال فقط وهذ لا يكفى وحده لإقامة مشروع تجاري ناجح .. وفي المقابل كانت مصلحة صديق والدي في هذه الشركة هو أنه كان يتمنى إقامة بعض التوسعات بشركته والتي لم يسمح بها وضعه المالي فوجدها فرصة جيدة ومصلحة له إذا دخل والدي معه كشريك بالنصف .. وهكذا تمت الشركة بينهما وأستطاع والدي تعلم أسس الاستيراد والتصدير والتجارة بصفة عامة في وقت قصير وكان رجل أعمل ناجح جداً .

عادت شادن تسأل بفضول :

- ولكن لما كل هذا .. أقصد لماذا يترك والدك مصر ويبيع ممتلكاته ثم يهاجر للخارج ويعتزل مهنته التي يعرفها ثم يعمل في مهنة التجارة التي لا يعرفها جيداً .. ألم يكن طبيباً ناجحاً :

قال لها رؤوف بإنفعال :

- على العكس لقد كان والدي طبيباً ناجحاً جداً وكان من أمهر الجراحين في مصر

سكت رؤوف وأحست شادن بإنفعاله وتوتره من هذا الموضوع فاندهشت .. ثم تذكرت فجأة أنه قال لها أن والده قد باع كل ممتلكاته .. ولكن هذه الفيلا ما زالت ملكهم فسألته شادن :

- هذه الفيلا يا رؤوف .. ألم يبعها والدك ضمن ما بيع من ممتلكات

رد عليها رؤوف :

- لا هذه الفيلا وبعض الممتلكات الأخرى كانت ملك لوالدتي وقد أصر والدي على عدم بيعها وكان دائماً يقول لي ربما تقرر يوماً العودة إلى مصر فتجد الفيلا كما تركتها والدتك .

نهضت شادن من كرسيها وهي تقول لرؤوف :

- لقد تعبت من الجلوس دعنا نمشي قليلاً بالحديقة

نهض رؤوف بدوره وسار بجانبها يتحدثان حتى وصلا إلى شجرة ياسمين كبيرة نظرت شادن إلى زهور الياسمين ثم مدت يدها وقطفت إحدى زهور الياسمين البيضاء الصغيرة وإستنشقت عبيرها وهي تقول في رومانسية بالغة :

- أه .. زهور الياسمين زهور العاشقين .. ما أروع تلك الزهور وعبيرها .. أترى هناك زهور أروع من تلك الزهور

كانت شادن تغمض عيناها وهي تستنشق عبير الياسمين وتقول تلك العبارة وعندما فتحت عيناها وجدت رؤوف ينظر إليها بعينيه الحزينتين دائماً نظرة جعلت الدماء تندفع حارة إلى وجنتيها وهو يقول لها هامساً بصوت دافئ :

- نعم يا شادن هناك زهرة برية أروع من كل تلك الزهور

همست شادن برقه :

- حقاً .. ما أسم تلك الزهرة

همس رؤوف بصوت يذيب الصخر :

- إسمها شادن

شعرت شادن بأن قلبها سينفطر وبالارض تميد تحت قدميها .. إندهشت شادن لنفسها وبما تشعر به ولما لهذا الرجل من تأثير عليها رغم أنها لم تراه إلا بالامس فقط .. ولكنها تشعر بأنها تعرفه من زمن بعيد كأن روحها قد ألتقت بروحه في عالم آخر .. ويا لروعة إلتقاء الأرواح ، شعور رائع يجعل الانسان يشعر بالذوبان التام .. شعور بالنشوة الروحية النشوة الحقيقية .. النشوة التي لا يصل إليها الانسان أبداً عند إلتقاء الاجساد ولكنه

يصل إليها عند إلتقاء الأرواح .. هل كانت هي ورؤف روحين ممتزجين في الأبد ..

إبتسم لها رؤوف برقة متناهية .. وإستدار يقطف لها من زهور الياسمين التي تعشقها حتى إمتلأت يده بالزهور .. عندئذ إستدار ناحيتها وهو يمد لها يده بالياسمين .. أخذتها شادن منه وهي تقول :

- سوف أصنع منها عقد ..

ثم ضحكت ضحكة طفولية عالية وهي تقول له :

- أتعلم يا رؤوف أنني كنت أتي إلى الحديقة من وقت لآخر لأسرق من زهور الياسمين لكي أصنع منها عقوداً أرتديها .. ثم ضحكت شادن وهي تكمل له :

- كنت أتحين الفرص التي ينام بها عم أمين أو يكون غير موجود لكي أدخل الحديقة وأسرق منها تلك الزهور الجميلة ..

ضحك رؤوف وهو يقول :

- ولما يا شادن .. أكان عم أمين يرفض أن تقطفي من تلك الزهور

قالت شادن :

- عم أمين رجل غريب الاطوار حقاً .. أتعلم أنه رغم حبه لي أنا وأخي مراد إلا أنه كان يرفض أن نقطف شيئاً من زهور الحديقة إلا فقط ما كان يود هو أن يقطفه بنفسه ويعطيه لنا .

قال رؤوف وهو يضحك :

- عجباً لهذا الرجل يرفض إعطاءك تلك الزهور وهو يعلم أنه إذا لم يقطفها أحد سوف تجف مع الوقت وتذبل وتتساقط .

قالت شادن :

- نعم .. هو فقط يريد أن يعطي من هذه الزهور على قدر ما يريد أن يعطي .. ويأبى أن يأخذ أحد بعد ذلك شيئاً حتى وهو يعلم أن هذه الزهور سوف تذبل مع الوقت وتتساقط هذه سياسته في الحياة وطريقة تفكيره .

ضحكت شادن وهي تقول :

- لذا كنت أحب إغاظته من وقت لآخر بقطفي لتلك الزهور حتى وإن لم يكن يراني فقد كنت أشعر داخلياً بانتصاري عليه ..

ضحك رؤوف وهو يقول لها :

- يا لكي من طفلة شقية .. الأن يمكنك أن تحضري إلى الحديقة وقتما تريدي لتقطفي من الزهور التي تحبيها .. ويا ويله عم أمين مني لو أعترض طريقك

ضحكت شادن بمرح وهي تقول :

- لا .. الآن أصبح عندي إكتفاء ذاتي

قال رؤوف :

- كيف ..

قالت شادن :

- منذ فترة طويلة قررت أن أزرع عندي في حديقة منزلنا شجرة من الياسمين حتى لا أكون في حاجة إلى شجرتكم .. فقد كانت حديقتنا بها الكثير من أحواض الزهور المختلفة ما عدا الياسمين الذي أعشقه لذا قررت زراعته وبالفعل كبرت شجرة الياسمين التي قمت بزراعتها منذ فترة .. وتعطيني الكثير من الزهور لذا لم أعد في حاجة الأن إلى ياسمين عم أمين ..

قهقه رؤوف وهو يقول :

- ياسمين عم أمين أهذا مطلع أغنية

ضحكت شادن بمرح وقالت:

- أعجبتك هذه الجملة

قال رؤوف وهو ما يزال يضحك :

- جداً

قال له شادن في رقة :

- أتعلم يا رؤوف أن ضحكتك صافية ورائعة .. أشعر أنها تخرج من قلبك مباشرة

نظر لها رؤوف وهو يقول :

- أتعلمي يا شادن أنني لا أضحك من قلبي كثيراً .. لكنني معك أشعر أنكي قادرة على إخراج ما بقلبي ..

تنبهت شادن فجأة إلى الوقت فنظرت في ساعة يدها وهي تقول :

- ياه .. تصور يا رؤوف لقد مضى علينا ونحن نتحدث ثلاث ساعات .. لم أشعر بالوقت

قال رؤوف :

- حقاً لم أشعر أنا أيضاً .. لا تقولي أنكي تريدين الانصراف

قالت شادن مبتسمة :

- نعم

همس رؤوف :

- ولكن ما زال هناك الكثير من الكلام

قالت شادن مؤكدة بمرح :

- بالطبع هناك الكثير من الكلام .. سوف أعطيك رقم التليفون لتحدثني وقتما تشاء فأنا لا أنام قبل أن أسمع صوت الكروان عند الفجر .. فأنا أعشق الليل والنجوم والقمر .

ودعت شادن رؤوف بعد أن أعطته رقم التليفون وإنصرفت .. كانت الساعة الثالثة عندما دخلت شادن منزلها بعد تركها لرؤوف .. فوجدت والدتها ووالدها وأخيها يجلسون على مائدة الطعام وقد بدءوا في تناول الغذاء .. عندما رأتها والدتها قالت لها :

- أين أنتي يا شادن لقد قلقنا عليكي .. لقد قلتي لي أنكي ذاهبة إلى المكتبة لشراء بعض الكتب وقد تأخرتي كثيراً .. ثم أن سيارتك بالخارج ألم تأخذيها ..

جلست شادن على كرسيها لتناول الغذاء وهي تقول لوالدتها :

- لم أذهب بسيارتي .. فعند خروجي من المنزل وجدت لبنى وقد أتت لزيارتي فعندما علمت أنني ذاهبة إلى المكتبة ذهبت معي وقد ركبنا سيارتها ..

قال لها والدها :

- وأين الكتب التي إشتريتها ..

قالت شادن لوالدها وهي تتحاشى النظر في عينيه أو في عيني والدتها .. فقد كانت المرة الأولى التي تكذب فيها شادن في حياتها .. ولا تدري لما كذبت فقد أحست أن رؤوف سر في حياتها لا يجب أن يطلع عليه أحد على الأقل في الوقت الحاضر :

- لم أجد في المكتبة ما كنت أريده من كتب

قالت شادن هذا ثم أخذت تتناول طعامها بسرعة وهي تقول :

- كم أنا جائعة..

قالت هذه العبارة وكأنها تقول لوالديها .. لا أريد أن يسألني أحد أين كنت لا أريد أن اكذب أكثر من ذلك ..

صعدت شادن إلى غرفتها بعد تناول الغذاء وهي تشعر بمزيج من المشاعر المتناقضة إستلقت على سريرها تحدق في سقف الغرفة .. أه بما تشعر كأنها أتية من سباق للجري منهكة القوى .. كأنها قد قطعت مسافة كبيرة سيراً على الاقدام .. لا بل كأنها تسبح في الفضاء .. تشعر أنها سعيدة لدرجة النشوة .. بل حزينة لدرجة الرغبة في البكاء .. لا بل تشعركأن العالم ملك يديها .. بل كأنها لا تملك شيئاً على الاطلاق كأن ما تتمناه في الهواء يسبح بعيداً عنها لا تستطيع الوصول إليه .. مد ت شادن يدها إلى جهاز الكاسيت الصغير الموضوع على الكومودينو بجوار سريرها .. أدارته كان به شريط للموسيقى الناعمة التي وقعت شادن في غرامها منذ أن سمعتها لأول مرة .. كانت الموسيقى التصويرية للفيلم العالمي " قصة حب " كم تعشق هذا الفيلم الرومانسي الرائع .. وكم تكره نهايته الحزينة .. ظلت شادن تستمع للموسيقى الناعمة وهي سابحة في

أفكارها كأنها تطير في الفراغ الهائل المحيط بالكون .. وصلت الموسيقى عند نهايتها وتذكرت شادن نهاية الفيلم عند موت البطلة .. لم تستطع أن تمنع دمعة جرت من عينيها رغم إرادتها فقالت شادن لنفسها :

- لما يفترق المحبون ..

إستسلمت شادن للنوم العميق كانت الموسيقى قد دغدغت مشاعرها تماماً فنامت وكأنها تغوص في بحر عميق لا نهائي .....

* * * * * * * *

الفصل الرابع

إستيقظت شادن من نومها وهي لا تدري أين هي وكم من الزمن قد مر عليها وهي نائمة .. كانت تشعر باسترخاء وكسل لذيذ .. تقلبت في سريرها وهي تفتح عيناها ببطء .. وجدت الظلام قد خيم على غرفتها .. جلست شادن في سريرها وهي تقول لنفسها :

- يا ترى كم الساعة الأن .. أترانا صباحاً أم مساءاً

مدت شادن يدها وأضاءت أباجوره بجوارها .. فوجدت أنها تنام بملابس الخروج فتذكرت أنها كانت صباحاً برفقة رؤوف ثم أنها صعدت إلى غرفتها بعد تناولها لطعام الغداء مع والديها وأخيها .. أه تذكرت شادن يبدوأنها قد نامت بعد الغداء بملابسها غادرت شادن سريرها ودخلت الحمام .. أخذت دشاً دافئ ثم خرجت وهي تشعر برغبة قوية في تناول فنجان من القهوة باللبن التي تفضلها .. نظرت شادن في ساعة الحائط الكبيرة المعلقة في الردهه كانت الساعة السابعة مساءاً .. نزلت شادن إلى الدور الأرضي متجهة إلى المطبخ لتصنع كوب القهوة باللبن فوجدت والدتها تعد لنفسها فنجان من الشاي .. إبتسمت شادن لوالدتها وهي تقول لها :

- ماما إنتي هنا ..

قالت الام :

- نعم يا حبيبتي ..

كان المطبخ مؤثث بطريقة أنيقة ومريحة وعملية .. وكان به مائدة صغيرة موضوعة في وسط المطبخ تماماً .. جلست عليها الام وهي تشرب الشاي وتراقب شادن وهي تصنع قهوتها .. كأنها تريد أن تقول لها شيئاً ولكنها مترددة .. أحست شادن بمراقبة والدتها لها فالتفتت ناحيتها ضاحكة وهي تقول :

- إيه يا ماما أشعر أنكي تضعينني تحت المراقبة

ضحكت أمها وهي تقول :

- أريد أن أكلمك في موضوع .. لكنني لا أعلم برد فعلك فأنتي حقاً مجنونه

ضحكت شادن وهي تداعب أمها وتقبلها قائلة :

- لا تخافي يا حبيبتي فأنا أعدك أنني لن أكون مجنونه اليوم .. هاتي ما عندك

قالت لها أمها وهي تشير إلى كرسي أمامها .

- إذاً إجلسي

جلست شادن .. وهي تنصت إلى أمها التي قالت لها :

- عمتك يا شادن تقول أن هناك شاب ممتاز يريد أن يتقدم لخطبتك ما رأيك

قالت شادن بهدوء :

- من هذا الشاب ..

قالت الام :

- هو جار لعمتك .. والدته صديقة لعمتك وقد رأى صورتك بالصدفة عندها فأعجب بك وأراد أن يتقدم لخطبتك

لم تستطع شادن أن تمنع إنفعالها فقالت لأمها :

- هكذا يرى صورتي ثم يعجب بي ويقرر أن يتقدم لخطبتي .. وأنا ليس لي أهمية أيجب علي إذاً أن أوافق هكذا دون أن أعرف من هو .. ودون أن أعرف شيئاً عن أخلاقه وطباعه .. ثم هو كذلك لا يعرفني أنا لن أتزوج بهذه الطريقة أبداً

قالت أمها :

- وبأي طريقة تريدين أن تتزوجي .. إعلمي يا شادن أنه لا يوجد شباب يمكن أن يوثق بهم هذه الايام .. فالشاب المحترم الجاد في الارتباط والزواج يتقدم عن طريق العائلات ..

قالت شادن :

- زواج الصالون هذا يا ماما أنا لا أقتنع به .. لن أتزوج أبداً رجل لا أعرفه ..

قالت لها أمها وهي تحاول إقناعها :

- يا شادن هذه طريقة محترمة للزواج .. ثم أنتي لن تتزوجي طبعاً هذا الشخص قبل أن تعرفيه .. فعند ما يحضر هو وعائلته سوف تجلسين وتتحدثين معه ثم ليس هناك مانع من مقابلته بالنادي هو وعائلته أكثر من مرة حتى تقتنعي به تماماً وعندئذ نعقد الخطبة .. فليس هناك زواج على الاطلاق قبل أن تعرفيه وتقتنعي به جيداً ولكن شرط أن يتم كل هذا في أسلوب عائلي محترم ..

قالت شادن بإصرار :

- لا .. لن أتزوج أبداً بهذه الطريقة إنني أشعر كأنني سلعة يأتي هذا الشخص لمعاينتها فإن أعجبته إشتراها وإن لم تعجبه تركها ..

قالت لها أمها بعصبية :

- ما هذا الكلام الفارغ الذي يملأ رأسك أنتي لست سلعة يأتي شخص لمعاينتها .. بل أنت فتاة جميلة وجامعية ومن عائلة كبيرة وفي سن الزواج وهو كذلك شاب مركزه مرموق ومن عائلة كبيرة وأخلاقه حميدة ويرغب في الزواج والعائلتين تهئ لكما الفرصة المناسبة لكي تتعرفا ببعضكما فإن أحسستما باقتراب متبادل لفكرة الارتباط بينكما كان الارتباط وإلا فلا ..

نظرت شادن إلى والدتها وهي تحاول إقناعها وقالت :

- يا ماما إفهميني أنتي تعرفينني جيداً وتثقين في أخلاقي وإختياري .. أنا أرغب في الزواج طبعاً بطريقة محترمة ولكن ليس عن طريق إفتعال المناسبة التي ألتقي بها مع شريك حياتي .. يا ماما أنا لست مرتاحة نفسياً لهذا الاسلوب في الزواج .. ثم أنا لست متعجلة للإرتباط .. فالزواج قسمة ونصيب وأنا إن شاء الله سوف التقي مع شريك حياتي وقت أن يشاء الله وأنا لا أعلم متى يكون هذا اللقاء .. ولكن أتمنى أن ألتقيه قريباً ..

قالت أمها وهي غاضبة :

- أنا لا يعجبني حالك هذا ترفضين كل من يتقدم لك بحجة أنكي لا تعرفينه يا إبنتي أنا أمك كوني صريحة معي أهناك شخص في حياتك .

ضحكت شادن بمرح قائلة :

- يا ماما صدقيني ليس هناك شخص في حياتي أنا فقط لم ألتقي بعد بالشخص المناسب هذا كل ما في الأمر .

قالت لها أمها في محاولة أخيرة لأقناعها :

- يا حبيبتي ما دام ليس هناك شخص في حياتك فلما لا تجربي وتلتقي بمن يتقدم لكي فربما يكون هو الشخص المناسب الذيي تبحثين عنه ..

قالت شادن بعند وإصرار :

- لا .. الشخص المناسب لن ألتقيه بهذه الطريقة أنا مقتنعة بأنني سوف ألتقيه دون ميعاد سابق ..

هزت الأم رأسها وهي تقول لشادن :

- في كل مرة أتحدث معكي في هذا الموضوع أصل كالعادة إلى طريق مسدود يا حبيبتي لا تتركي العمر هكذا ينفلت من بين أصابعك ..

قالت شادن لأمها :

- لن تقتنعي أبداً بوجهة نظري .. لا يفهمني أحد على الاطلاق

بمجرد أن نطقت شادن بهذه العبارة حتى وجدت من يرد عليها قائلاً :

- أنا أفهمك يا صغيرتي ..

إلتفتت شادن فوجدت والدها يقف بباب المطبخ وهو يبتسم قالت له :

- بابا إنت هنا ..

رد عليها الاب في حنان :

- نعم .. جئت منذ عشر دقائق

تدخلت الأم في حديثهما قائلة :

- إبنتك لم توافق على العريس .. حاول أنت إذا إقناعها ما دمت تقول بأنك تفهمها تركت لهما الأم المطبخ وخرجت .. دخل الأب إلى حيث تقف شادن وربت على كتفيها بحنان بالغ وهو يقول لها :

- يا صغيرتي أنا لا أجبرك على شئ أبداً .. إفعلي ما تريدين ولكن فقط أطلب منكي أن تفكري في هذا الموضوع قليلاً بعقلانية قبل أن ترفضي أو تقبلي .. إجلسي مع هذا الشاب ثم قرري .

قالت شادن بصبر نافذ وكأنها تعبت من مناقشة هذا الموضوع :

- أنا لا أعترض على هذا الشاب حتى أتخذ قراري بعد الجلوس معه .. لكن أنا أعترض على الطريقة هذا الاسلوب بالذات في الزواج يستفزني .. يا بابا أفهمني أنا لا أحب هذه اللقاءات المرتبة سابقاً في موضوع الزواج ولكن أرغب أن أترك هذا الموضوع يسير بطريقة طبيعية دون تدخل من أحد .. عندما يشاء الله سوف التقي الشخص المناسب دون أن يكون بيننا ميعاد سابق ولقائي به لن يكون بهدف الزواج ولكن فكرة الزواج سوف تنشأ بيننا من تلقاء نفسها عندما نشعر بأننا نصفان يبحثان عن بعضهما ثم إلتقيا أخيراً ..

نظر إليها أبيها بحنان بالغ وهو يقول :

- يا شادن إفعلي ما تريه صواب فأنا أثق بقراراتك وأعلم قوة شخصيتك ونظرتك الثاقبة للأمور ولكن أخاف عليك من تلك الرومانسية ..

قبلها أباها على جبينها وانصرف ..

كانت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل عندما أوى الجميع إلى فراشهم ما عدا شادن التي جلست في غرفتها تقرأ وتستمع للموسيقى الهادئة ..

وفجأة صدح صوت الكروان بدعائه الرائع يشق قلب الليل بترنيماته الخاشعة

رفعت شادن عيناها عن الكتاب الذي بين يديها وهي تبتسم بفرحة لسماعها صوت الكروان الذي تعشقه حتى إنتهى من غناؤه .. بعدها مباشرة دق

جرس التليفون بغرفة شادن .. لأول وهله إنتابها شعور بأن هذه المكالمة خاصة بها ولكنها تراجعت عن تفكيرها وهي تقول لنفسها :

- من سيحدثني بعد منتصف الليل .. ربما تكون مكالمة خاطئة ..

رفعت شادن سماعة التليفون وهي تقول بصوت رقيق :

- ألو ..

جاءها عبر أسلاك التليفون صوت عرفته لأول وهله يقول لها بنبرة عذبة :

- أسمعتي صوت الكروان ..

نطقت شادن بإسم محدثها بفرحة حقيقية قائلة :

- رؤوف ..

رد عليها بدفء :

- كيف حالك أيتها الظبية الصغيرة النافرة ..

ضحكت شادن بمرح ولم تجبه

فعاودها صوته يداعبها قائلاً :

- أليس هذا معنى إسمك ..

قالت شادن تداعبه :

- نعم هو معنى إسمي .. ولكن يكفي أن تقول كيف حالك يا شادن ..

قال رؤوف برقة متناهية تذيب الجليد :

- كيف حالك يا شادن

أجابته شادن بنفس الرقة :

- أنا بخير يا رؤوف كيف حالك أنت

قال رؤوف :

- عندما سمعت صوت الكروان تذكرتك على الفور وأحببت أن أسمع صوتك وقلت لنفسي ربما تكونين نائمة .. ولكن حدثني قلبي بأنكي ما زلت مستيقظة

قالت له شادن :

- نعم ما زلت مستيقظة .. وأنت ما زلت مستيقظاً ماذا كنت تفعل الأن

رد عليها رؤوف :

- كنت أقرأ وأستمع إلى بعض الموسيقى الهادئة ..

ردت عليه شادن :

- حقاً .. أنا أيضاً كنت أقرأ وأستمع إلى الموسيقى

سألها رؤوف :

- ماذا كنتي تقرأين ..

أجابته شادن :

- كنت أقرأ في ديوان " إبراهيم ناجي " يا لرقه هذا الشاعر .. أتحب أشعاره يا رؤوف ؟

أجابها رؤوف بخجل :

- في الحقيقة أنا لم أقرأ له أبداً من قبل ..

سألته شادن :

- ألا تحب الشعر؟

أجابها رؤوف :

- لم أجرب قراءته من قبل يا شادن .. لذا لا أعرف إن كنت أحبه أم لا ..

قالت له شادن وصوتها حالماً :

- أنا يا رؤوف أعشق الشعر لذا لا أتصور أن يمضي علي يوم دون أن أقرأ ديوان لأحد الشعراء ..

سألها رؤوف وهو يحاول أن يستدرجها لكي تقرأ له أحد القصائد قائلاً :

- في أي قصيدة كنتي تقرأين من ديوان " ناجي "

أجابته شادن :

- كنت أقرأ قصيدته " مصافحه اللقاء " من ديوانه " وراء الغمام " ..

قال لها رؤوف :

- وماذا يقول في هذه القصيدة ..

قالت له شادن في رقة :

- سوف أقرأها لك .. أخذت شادن تقرأ لرؤوف قصيدة "مصافحة اللقاء "

التي يقول فيها ناجي :

أهاب بنا فلبَّينا .:. منادٍ ضمَّ روحينا

كأنا إذ تصافحنا .:. تعانقنا بكفينا

كأن الحبَّ تيار .:. يسري ما بين جسمينا

يؤجج في نواظرنا .:. ويشعل في دمائينا !

إنتهت شادن من قراءة القصيدة وكانت قد إنفعلت كعادتها عند قراءة الشعر

فسألت رؤوف بصوت متهدج :

- ما رأيك ..

أجابها رؤوف بصوت هامس مبحوح أحست معه شادن بإنفعال رؤوف كذلك بالقصيدة :

- أه .. يا لروعة تلك الأبيات .. يبدو يا شادن أن هؤلاء الشعراء يجيدون تحويل ما يمكن أن يشعر به الإنسان من أحاسيس ومشاعر إلى كلمات لا نستطيع نحن أن نعبر عنها .

أحست شادن بفرحة داخلية لأن رؤوف قد إنفعل بهذه القصيدة

فقالت له مداعبة :

- يبدو أنك قد بدأت تحب الشعر ..

أجابها رؤوف :

- نعم يا شادن يبدو ذلك ..

فقالت له شادن ضاحكة :

- إذاً أنا على إستعداد لأن أقرأ لك الشعر كل يوم ..

أجابها رؤوف بفرحة حقيقية :

- أحقاً يا شادن .. إذاً سوف يكون موعدنا مع الشعر كل يوم بعد منتصف الليل ..

تصبحين على خير ..

قالت شادن :

- تصبح على خير يا رؤوف ..

* * * * * * * *

الفصل الخامس

كان اليوم الأول من شهر مارس .. كانت الشمس ساطعة والجو ربيعي جميل عندما كانت شادن قد إستقلت سيارتها متجهة إلى " الجوت شوت " حيث كان موعدها مع رؤوف في الثانية عشرة والربع .. أوقفت شادن سيارتها في المكان المخصص لإنتظار السيارات ثم دخلت وإنتقت مائدة في ركن هادئ يطل على النيل .. وجدت شادن نفسها قد أتت مبكرة عن موعدها مع رؤوف بربع ساعة فجلست تسترجع ذكرياتها مع رؤوف .. كان قد مر شهران كاملان منذ معرفتها برؤوف ورؤيتها له أول مرة وخلال هذان الشهران لم يفترقا تقريباً .. كانت علاقة شادن برؤوف قد توطدت كثيراً فكانا يلتقيان كل يوم في الصباح بعد إنتهاء رؤوف من بعض أعماله يشربان معاً الشاي إما في حديقة منزله أو في الجوت شوت أما في الليل فكانا يلتقيان يومياً في مكالمة تليفونية طويلة بعد منتصف الليل كانت شادن تقرأ له فيها الشعر ويتحدثان في كل شئ عن حياتها ودراستها وعائلتها وأقترب رؤوف من شادن كثيراً خلال تلك الفترة حتى أصبح يفهمها من رموش عيناها ويشعر بما يؤلمهاوما يفرحها حتى أنهما كثيراً ما كانا ينطقان بنفس الشئ في وقت واحد كذلك حدثها رؤوف عن نفسه كثيراً عن عمله ورحلاته وعشقه للسفر وحبه لرياضة ركوب الخيل .. وعرفت كذلك شادن من رؤوف سبب وجوده في مصر حيث أنه كان هو وشريكه في شركة الاستيراد والتصدير قد فكرا جدياً في نقل نشاطهما التجاري إلى مصر أسوة بكثير من رجال الأعمال بالخارج حيث أصبحت الأحوال العامة في مصر ملائمة تماماً لإستثمار رؤوس الأموال في مجال الأنشطة المختلفة الصناعية والتجارية الكبيرة .. ولذلك كان رؤوف قد أتى إلى مصر بتفويض من شريكه لدراسة السوق التجاري والاتصال بالجهات المختلفة لمعرفة ما يلزمه من إجراءات مختلفة لنقل نشاطه التجاري إلى مصر .. هكذا عرفت شادن الكثير عن رؤوف ولكن ظلت دائماً هناك نقطة غامضة في حياة رؤوف لم يحدث شادن عنها وكان ينتابه التوتر والعصبية ويملأ الحزن وجهه وعينيه عندما كانت شادن تحدثه عن تلك الفترة من حياته محاولة أن تعرف المزيد عنه .. كانت هذه الفترة من حياته التي تصيبه بالتوتر هي فترة شبابه المبكر عندما كان في الثامنة عشرة من

عمره أي الفترة الملازمة لوفاة والدته وسفره هو ووالده إلى خارج البلاد .. لم تعرف شادن أبداً شيئاً عن حياة رؤوف في تلك الفترة من عمره كل ما شعرت به وأحسته من تصرفات رؤوف أن هذه الفترة من حياته كانت بها ذكريات حزينة .. كانت شادن غارقة في أفكارها تتأمل صفحة النيل الهادئة كبساط من حرير حتى أفاقت على صوت رؤوف يداعبها ضاحكاً وهو يجلس على الكرسي المقابل لها :

- كلما تركتك فترة اعود فأجدك شاردة ..

ضحكت شادن وهي تقول له :

- ـ كنت أفكر بك ..

ضحك رؤوف عالياً وهو يقول :

- هكذا:

ثم نظر لها بخبث قائلاً :

- ولما تفكرين بي ..

إبتسمت شادن له وهي تقول :

- قولي أولاً كيف سار يومك

قال رؤوف وهو يعتدل بجلسته :

- بخير .. لقد أرسلت اليوم لشريكي فاكس أشرح له فيه كل ما قمت به حتى الأن من دراسة للسوق والإجراءات المطلوبة لنقل نشاطنا التجاري إلى هنا

قالت شادن :

- أحقاً يا رؤوف سوف تستقر بمصر

نظر رؤوف في عيناها وقال لها بدفء :

- أتودين أن أستقر هنا بمصر يا شادن ..

أدارت شادن رأسها بخجل ناحية النيل وهي تقول :

- أليست مصر بلدك .. يجب إذاً أن تستقر بها

قال رؤوف لشادن :

- سوف أستقر هنا إن شاء الله لذلك سوف أشتري سيارة جديدة وأود أيضاً أن أتعرف بجيراني

نظرت له شادن متسائلة :

- ماذا تقصد ..

إبتسم لها رؤوف وهو يقول :

- عائلتك يا شادن .. أليس غريباً أنني هنا منذ شهران ولم أتعرف بعد بوالدك ووالدتك وأخيك مراد ..

قالت له شادن برقة :

- أنت لم تطلب أن تتعرف بهم

قال رؤوف وهو يؤكد لها برقة بالغة :

- أنا الأن أتمنى أن أتعرف بهم ..

قالت شادن :

- كيف

قال لها رؤوف ببساطة :

- سوف أتي إلى منزلكم وأتعرف بوالدك بصفتي جار لكم .. ثم أنها فرصة أيضاً يا شادن فلقد قلتي لي أن والدك يعمل محامياً وأنا سوف أحتاج لمحامياً كبيراً مثل والدك في الأجراءات المختلفة للشركة ..

قالت له شادن مبتسمة :

- عندما تأتي إلى منزلنا وتتعرف بوالدي ووالدتي فإنهما بالتأكيد سوف يدعوانك إلى حفلة عيد ميلادي بعد غد ..

قال لها رؤوف بفرحة :

- عيد ميلادك أيتها الظبية الشاردة ..

قالت شادن وهي تدعي الغضب :

- رؤوف ..

ضحك رؤوف من قلبه حتى دمعت عيناه وقال لها :

- كم أنتي جميلة وأنتي غاضبة .. كم أنا سعيد لحضوري عيد ميلادك ستكملين الخامسة والعشرين أليس كذلك ..

قالت له شادن مندهشة :

- كيف عرفت

قال لها رؤوف برقته المعهودة :

- في أول مرة رأيتك بها أذكر أنكي عندما حكيت لي كيف قفزت من شرفة المكتب قلت لك أنكي طفلة رائعة فغضبت وأحمر وجهك وأنتي تقولين لي أنا لست طفلة أنا سوف أكمل الخامسة والعشرين

قالت شادن :

- أما زلت تذكر ..

قال رؤوف وعيناه تتعلقان بعيناها :

- لم أنس في يوم كلمة قلتها لي ..

رمقته شادن بنظرة ولهه ثم أدارت وجهها حتى لا تفضحها عيناها ويعلم بمكنون قلبها .. بعد لحظات من الصمت بينهما كان كل منهما غارقاً في أفكاره ومشاعره تجاه الآخر يريد البوح ويخاف الصد ..

قالت شادن لتقطع الصمت :

- متى ستأتي لتتعرف على والدي ..

قال لها رؤوف وبعيناه الكثير من الكلام وبصوته تهدج ورقة :

- اليوم الساعة السادسة أيكون موجود ..

قالت شادن :

- نعم .. فهو يذهب إلى المكتب في الثامنة ..

غادر شادن ورؤوف المكان عائدان إلى المنزل ..

في السادسة تماماً سمعت شادن وهي بغرفتها جرس الباب فعرفت أنه رؤوف .. خفق قلبها بعنف عندما سمعت صوت والدها وهو يرحب به فقالت لنفسها :

يبدو أن رؤوف قد عرفه بنفسه ..

خرجت شادن من غرفتها لتختلس النظرات إلى رؤوف فوجدته يدخل غرفة المكتب مع والدها .. عادت شادن إلى غرفتها وهي تفكر برؤوف يا ترى لما يخفق قلبها بعنف كلما رأته أو سمعت صوته أو تذكرته يا ترى لما ترتجف من التوتر كلما ذهبت للقائه .. ما هذا الشعور بداخلها .. لقد قال لها رؤوف يوماً :

- أتدرين يا شادن أنه ليس لي بمصر غيرك فوالدي لم يكن له أشقاء ووالدتي كان لها شقيق واحد توفي منذ عشر سنوات ولم يكن له سوى إبن واحد هو الأن مهاجر إلى كندا .. ولا أعرف تقريباً أقاربي بعد ذلك فأنا خارج مصر منذ عشرين عاما لذلك فأنتي صديقتي الوحيدة بمصر .. ما زالت شادن تذكر وقع هذه الكلمات عليها فقد شعرت برغبة شديدة في إحتوائه عندما لمحت فى عينيه نظرات ضائعة وهو يقول لها ذلك

شعرت شادن بشئ كبير يولد بقلبها البكر الذى لم تطأه خفقات عشق قبل ذلك ..

كانت شادن تتذكر ما قاله لها رؤوف يوماً وهي جالسة أمام المرأة .. كانت تنظر لنفسها فى المرأة كأنها تنظر إلى شخص آخر في محاولة لإكتشاف مشاعرها الحقيقية وفجأة إبتسمت شادن برومانسية بالغة وهي تقول لنفسها :

يا إلهى إننى أحبه .. نعم أحبه .. بل أعشقه .. أه ما أروع هذا الحب أفاقت شادن على صوت الباب الخارجى للمنزل وهو يغلق فأدركت أن رؤوف قد غادر المنزل .. نزلت شادن من غرفتها لتستطلع وقع المقابلة على والدها ورأيه برؤوف .. ووجدت والدها ووالدتها يجلسان في بهو المنزل فجلست معهما وهي تنتقل بنظرانها بينهما فبادرها والدها قائلاً

- أتدرين يا شادن من الضيف الذى كان هنا ..

قالت شادن وهي تدعى عدم الأهتمام ..

- من ..

قال لها والدها وهو يبتسم :

- إنه الدكتور رؤوف صاحب الفيلا التى أمامنا .. شاب مثقف حقاً فهو حاصل على الدكتوراه من إنجلترا ومهذب جداً ..

قالت والدتها مؤكدة على ما قال زوجها :

- حقاً إنه شاب رائع .. لما لم تأتى يا شادن لتتعرفي به ..

قالت شادن وقد وجدتها فرصة لدعوة رؤوف لحفل عيد ميلادها :

- يمكن أن أتعرف به في وقت لاحق .. فلابد يا ماما أنك قد دعوته إلى حفل عيد ميلادى أنا أعرفك جيداً فأنت تحبين دائماً دعوة جيراننا لعيد ميلادى ..

قالت أمها :

- في الحقيقة يا شادن لقد نسيت دعوته ولكن سوف يكلمه والدك بالتليفون ويدعوه بالتأكيد أليس كذلك يا شكرى

قال زوجها مؤكداً :

- بكل تأكيد

شعرت شادن بارتياح لأنها قد حملت والديها بطريق غير مباشر لدعوة رؤوف أه لكم تشتاق إليه .

* * * * * * * *

الفصل السادس

استيقظت شادن من نومها صباحاً وهى تشعر بنشوة... فاليوم عيد ميلادها فقفزت من فراشها وهى تقول:

- هذا اليوم مشحون...

كان أمامها الكثر لتفعله فهى سوف تساعد والدتها في تحضير لوازم الحفل وتريد أن تذهب إلى الكوافير لتصفيف شعرها حتى تبدو رائعة في عين رؤوف... آه رؤوف لم تره بالأمس فقد كان ورائه الكثير من الأعمال... كم أوحشها... قالت لنفسها:

- يا ترى ما هى الهدية التي سوف يحضرها لي رؤوف ؟

كانت الساعة السابعة تماماً عندما كان الجميع على أتم استعداد لاستقبال الضيوف... كان بهو الفيلا يتلألأ بالأضواء الساطعة وصوت الموسيقى الناعمة ينساب برقة يملأ عبيرها أركان المنزل...

بدأ الضيوف يتوافدون إلى الحفل ووقف والد شادن ووالدتها واخيها مراد في استقبال الضيوف والترحيب بهم وفى الساعة السابعة والنصف حضر رؤوف وهو يرتدي بدلة سوداء غاية في الأناقة وكان يرتدي تحتها قميصاً أبيضاً مصنوعاً من الحرير الناعم وربطة عنق رائعة تنسجم ألوانها مع البدلة الأنيقة التي كان يرتديها.

دخل رؤوف إلى الحفل ورحبت به عائلة شادن وعرفوه ببعض الضيوف وهم من الجيران والأقارب... أحضر مراد لرؤوف كوباً من العصير ووقف يحدث معه كان رؤوف ملهوف القلب على شادن يبحث عنها بعينيه حتى لمحها وهى تنزل على السلم... تعلقت عينا رؤوف بشادن وهى

تتهادى برقة ودلال في أبهى صورة... كانت حقاً رائعة في ثوبها البنفسجي الفاتح في أفتح درجات هذا اللون وكان مصنوعاً من الحرير الناعم المتلألئ... كان طويلاً نسبياً فبدت فيه كأميرة، أما شعرها فقد رفعته إلى أعلى كتاج على رأسها وأنزلت بعض الخصلات المتمردة على جبينها ورقبتها من الخلف، وزينت رأسها بشرائط من الحرير من نفس لون وقماش الفستان... أما أذنيها فقد زينتها بقرط ذهبي به فص كبير من نفس لون الفستان... ابتسمت شادن برقة وعذوبة عندما التقت عيناها بعيني رؤوف... أما رؤوف فقد شعر بالغيرة الشديدة عندما لمح فتحة فستان شادن التي تكشف عن رقبتها وجزء من كتفيها... أخذت شادن تتنقل بين الضيوف لتحيتهم... حتى وصلت أخيراً لتحية رؤوف... كان أخوها مراد يقف معه وعندما أتت شادن نحوهما، قام مردا بعملية التعارف بينهما ثم استأذن من رؤوف قائلاً وهو يضحك:

- سوف أترك شادن تقوم بواجب الضيافة وأذهب لأجلس مع خطيبتي قليلاً...

انصرف مراد وترك شادن ورؤوف يحدقان ببعضهما، قال لها رؤوف وعل شفتيه ابتسامه رقيقة :

- ياللكِ من فاتنة اليوم.

قالت له شادن وهى تداعبه:

- وأنت يالك من فاتن.

ضحك رؤوف لدعابتها ثم قدم لها علبة من القطيفة الحمراء وهو يقول:

- كل عام وأنتِ بخير يا شادن.

أخدت شادن العلبة وهى تبتسم فى وداعة وفتحتها ثم قالت له بدهشة:

- ياللروعة... ما هذا يا رؤوف يبدو أنك قد دفعت مبلغاً كبيراً من المال... لما كل هذا؟

كان بالعلبة إسورة رائعة من الماس المحلى بالفصوص الصغيرة الفيروزية، قال لها رؤوف بهمس:

- هذا شئ بسيط... آه يا شادن لو كان باستطاعتي لصنعت لكى عقداً من نجوم الليل وإسورة من ضياء القمر وتاجاً من شعاع الشمس ...

إنبهرت شادن لما يقول فوقفت تحدق به دون ان تنطق بكلمة حتى قال لها:

- أريد أن ألبسك هذه الإسورة ولكن ليس هنا وسط هذه الجموع من الناس... هناك بالشرفة.

خرجت شادن مع رؤوف إلى الشرفة دون ان تنطق بكلمة كانت تسير بجواره كأنها منومة مغناطيسياً حتى وصلا إلى الشرفة... كان الجو بديعاً حقاً والنجوم تتلألأ في السماء... نظر رؤوف إلى النجوم وهو يقول بصوت حالم:

- انظري يا شادن إلى النجوم كأنها تحتفل بيوم ميلادك...

ابتسمت له شادن وهمست:

- رؤوف... يالهذه الرقة...

تناول رؤوف العلبة من يدها وأمسك بالأسورة... مدت له شادن يدها فى استسلام ليلبسها الأسورة... ألبسها رؤوف الأسورة.... ثم أمسك بيدها برقة

متناهية، ورفعها إلى شفتيه، وطبع قبلة دافئة على معصمها... عندما شعرت شادن بحرارة شفتي رؤوف على معصمها، كادت تنهار وترتمي على صدره ولكنها تمالكت نفسها وتراجعت قليلاً وهى تقول في محاولة للسيطرة على مشاعرها:

- حقاً يا رؤوف إن الجو اليوم بديع ونسمات الليل ساحرة... إنه الربيع.

وقف رؤوف بجوارها تماماً ينظر إلى السماء وهو يقول:

- نعم يا شادن إنه الربيع؟

كانت شادن تشعر بحرارة شفتي رؤوف على معصمها فتحسست بيدها الأخرى مكان القبلة بطرقة تلقائية وهى تنظر إلى الأفق البعيد ولم تشعر بأن رؤوف يراقبها إلا عندما قال لها:

- ماذا بك يا شادن الأسورة تؤلمك؟

قالت له شادن بسرعة:

- لا أبداً

قال لها رؤوف وهو يمسك يدها يتفحصها:

- دعيني أرى... فبشرتك رقيقة لا تتحمل أي خدش.

رفع رؤوف يدها وهو يتحسسها برقة متناهية كانت تذوب معها كل مقاومة لشادن فلم تعد تقوى على المزيد... قال لها رؤوف بدفء:

- ليس بها شئ.

ثم رفع يدها مرة أخرى وبنفس الطريقة الأولى طبع على معصمها قبلة دافئة ثم أتبعها بقبلة ثانية انهارت معها كل مقاومة لشادن، فهتفت باسمه بوله شديد:

- رؤوف...

رفع رؤوف وجهه عن يدها وهو ينظر بعينيها نظرة فجرت كل ينابيع المشاعر بداخل شادن وهو يهمس بصوت يذيب الصخر من الرقة:

- آه يا شادن... آه كم أحبك.

لم تعد شادن تقوى على الوقوف احست بانها ستنهار على صدره عندما مد رؤوف يده الأخرى يداعب وجنتها ويربت عليها بحنان ويهمس في أذنيها اه يا حبيبتي كم أتمنى حملك بين ذراعي وضمك إلى صدرى لتكوني قريبة من قلبي الذي ينبض بحبك.

ورفعت شادن يدها تداعب خصلات شعره وهى تهمس بأبيات لناجي:

- أشتهي ضمك حتى أشتفي

فكأني ظامئُ أخذ ثاري!

- غير أنِّي كلما امتدت يدي

لعناقٍ خِفتُ أن تؤذيكَ ناري!

- شادن يا حبيبة عمري...

قال رؤوف هذه العبارة وهو يشد شادن إلى صدره ويطوقها بذراعيه بقوة، وهو يحتضنها كأنها أغلى ما عنده في هذه الحياة... كان رؤوف يضمها بقوة إلى قلبه وهو يهمس لها بما يجيش به صدره من حب قائلاً :

- لم يعد قلبي يتحمل المزيد من الحب يا شادني... يا شادن عمري تزوجيني...

لم تقوى شادن على الرد أو الكلام... فأبعدها رؤوف برقة عن صدره وهو ينظر إليها قائلاً :

- ما رأيك حبيبتي، أتتزوجيني؟ ... إنك حتى الآن لم تقولي لي كلمة تدل على مشاعرك... أتحبينني يا شادن مثلما أحبك أم لا؟

لم تقوى شادن على الكلام من شدة الإنفعال... فغضب رؤوف لصمتها قائلاً:

- شادن أنتِ لا تحبيني...

نظرت إليه شادن وعيناها تنطقان بالحب الشديد وهى تذوب من شدة الوجد وهى تقول له:

- أنا لا أحبك يا رؤوف... آه من الذى قال لك هذا ألا تشعر بحبي... ألا تفضحني عيناي وانا معك... ألا تسمع دقات قلبي وأنا اقف بجوارك وهى تهتف باسمك... تنبض بحبك... آه يا رؤوف ألا تشعر أني أهواك... أهوى ما تمشي عليه خطاك... واهوى ما تراه عيناك... وأهوى عبير يداك... اقتربت منه شادن وطوقت بذراعيها رقبته وهى تقول مبتسمة:
- أنا احبك بجنون أيها المجنون.

اطمان قلب رؤوف فهدأ وسكن بين يدي شادن وهو يقول لها بحب:

- يا شادن يا توأم روحى ... أشعر وكأننا مشدودان لبعضنا بقوة خفية كأننا مربوطان معا بسلاسل من نور لا يستطيع أحد أبداً إبعادنا عن بعضنا أو التفريق بيننا ....

قالت له شادن وهى تدفن وجهها بصدره القوي الدافئ:

- يا حبيب عمري أنت شطر نفسي لا توأمها... آه يا رؤوف أحسك في دمي تذوب به.

سكتت شادن ثم رفعت وجهها عن صدر رؤوف وقد تقلصت عضلات وجهها لما تشعر به من الم حاد في أسفل بطنها من الناحية اليمنى، سألها رؤوف بلهفة:

- ما بك يا شادن....

كانت شادن تقف وتضع يدها على المكان الذي تشعر فيه بالألم:

- لا أدري يا رؤوف... اشعر بالام هنا وميل شديد للقئ... لقد كنت أشعر منذ الصباح الباكر ببعض الألم ولكني كنت أتحمله...

صرخت شادن غير متحملة الألم:

- آه....

حملها رؤوف بين ذراعيه بلهفة شديدة وخرج من الشرفة... وهو فى حالة من الخوف والفزع الشديد... كان يحملها بين ذراعيه كأنه يحمل حياته ويخرج مسرعاً من الشرفة وهو ينادي على والدها... انتاب الجميع حالة من الفزع والقلق, وتم نقل شادن إلى المستشفى... حيث اجريت لها عملية عاجلة لاستئصال الزائدة الدودية التي كانت فى حالة التهاب شديد... كان

يجلس بالمستشفى خارج غرفة العمليات، والد شادن ووالدتها ومراد وبعض الجيران ممن كانوا بالحفل وأتوا للإطمئنان على شادن، وكذلك بعض الأقارب... أما رؤوف فقد جلس فى ركن بعيد وهو في حالة من الذهول كانه قد اصيب بصدمة عصبية. كان يمر أمام عينيه شريط ذكرياته الحزين عندما كان في الثامنة عشر من عمره ، هذه الظروف المشابهة جعلته يتذكر ما كان قد اعتقد نسيانه... أغمض رؤوف عينيه وانسابت الدموع حارة على وجنتيه وهو يتذكر والده وما مر به من حزن شديد لم يقوى طيلة حياته على تحمله كان والد رؤوف طبيباً كبيراً وجراحاً ماهراً وكان قد تزوج والدة رؤوف بعذ قصة حب عنيفة واستمرت حياة والد رؤوف ووالدته في هدوء وسعادة تامة خلال تسعة عشر عاماً أنجبا خلالها رؤوف.

كان كل يوم يمضي على والده ووالدته يزيد من قوة حبهما حتى إن أصدقائهم كانوا يضربون بهما المثل في شدة الحب حتى كان يوماً لم ينسه رؤوف أبداً ، كان في الثامنة عشر من عمره بدأت أمه تعاني من صداع قاتل يأتيها على فترات... وما زال يذكر أن والده لم يهمل قط فى الاهتمام بها منذ أن شعرت بهذا الصداع

*أحس رؤوف كانه خنجر يخترق قلبه وهو يتذكر تفاصيل هذا اليوم المشؤوم عندما علم من والده بنتائج تحاليل الأشعة الخاصة بأمه وعرف أنها تعاني من مرض خبيث في المخ في مراحله الأخيرة... ما زال يذكر كيف كان والده يقف في غرفة المكتب وهو يبكي وينتحب كالأطفال وهو يشعر بعجز شديد تجاه شريكة عمره وحبه الوحيد... فهو لا يملك إلا أن

يدعو الله لكي يخفف عنها تلك الآلام. لقد قام والده بكل ما في وسعه فلقد سافر بزوجتة للخارج في كل مكان وهو طبيب ويعلم جيداً أن حالتها ميؤوس منها ولكنه الأمل, وأخير اً استسلم والده بعد ما أحس بالعجز التام أمام إرادة الخالق العظيم سبحانه وتعالى. كان الأب لا هم له إلا الصلاة والدعاء لها فلم يكن بيده اي حيلة أخرى وعندما حان الأجل واسلمت الزوجة الحبيبة الروح لخالقها... إنهار الزوج تماماًوأهمل عمله لفترة طويلة ثم عاد بعد ذلك لعمله بعد إلحاح كثير من زملائه ولكنه فشل ولم يستطيع إكمال أحد العمليات الجراحية فقد كانت يداه ترتعشان بشدة ويتصبب منه العرق وهو يتذكر زوجته الحبيبة فى كل لحظة... خرج الرجل المنكوب من المستشفى بعد ترك إكمال العملية الجراحية لجراح آخر مساعداً له... خرج وهو مصمم على السفر للخارج ربما بعده عن المكان والفيلا والذكريات يكون فيه الشفاء لنفسه الجريحة.

ما زال رؤوف يذكر جيداً حالة والده النفسية وحزنه الشديد الذى لم يداويه الزمن، لم ينسى أبوه أمه أبداً طيلة العشرون عاماً التي قضاها بعد وفاتها كا ن من نوع نادر من البشر يحب مرة واحدة في حياته بكل ذرة في كيانه ويخلص لأقصى درجة وكان رؤوف مثله تماماً فقد كان يعرف أنه قد ورث هذه القدرة الهائلة على الحب وكان يهرب من هذا الإحساس دائماً... لم يكن يعلم أن مجيئه إلى مصر سوف يجعلة يمر بهذه الأحداث... لقد وقع في الحب الذي طالما كان يهرب منه ، فعلاقته بالنساء كانت عابرة لم يشعر يوماًتجاه أي امرأة بمثل ما شعر به تجاه شادن من عاطفة عميقة حفرت في قلبه حب كبير... كان بداخل رؤوف شعور دائم

بأنه مثل والده ، إذا أحب فإنه سوف يحب مرة واحدة في حياته وسوف يكون هذا الحب كبير ... كان رؤوف قد نسي لفترة طويلة ما مر به والده من حزن شديد ولكن هذه الظروف المماثلة ومرض شادن قد ذكره بعنف بهذه الذكرى الحزينة التي طالما كان يهرب من مجرد الحديث فيها... كان رؤوف يحب والدته جدا وحزن لمرضها وموتها حزناً شديداً ولكن الزمن كان كفيلا ان ينسيه هذا الحزن فقد سافر مع والده وانشغل بدراسته وحياته وصداقات جديدة وسفره المستمر إلى اماكن كثيرة لذا كان يندهش لعمق احزان والده ويتساءل أيمكن أن يمتد الحزن على مساحة زمنية كبيرة هكذا دون ان يتاثر عمق هذا الحزن حتى وقع فى حب شادن وأحس وهى تتهاوى بين يديه أنه يفقد حياته ويشعر بالضياع الشديد.

لم ينسى رؤوف أبداً أبيه وهو مريض وعلى حافة الموت كان يبتسم بفرح وهو يقول لرؤوف:أخيراً يا بني سوف ألقى حبيبة العمر... لقد اشتقت إليها كثيراً لكني أخيراً سوف ألحق بها.

أفاق رؤوف من ذكرياته الطويلة الحزينة على صوت مراد وهو يقدم له فنجان من القهوة... أتى به من بوفيه المستشفى قائلاً:

- لا بد أنك تحتاج مثلى لهذه القهوة... لقد تعبت معنا.

نظر إله رؤوف وهو في حالة إعياء شديد نتيجة ما يشعر به من خوف على شادن ومعاناة شديدة لتذكره هذه الاحداث الحزينة التي مرت بحياته، قال لمراد:

- شادن... أخرجت من غرفة العمليات؟

رد عليه مراد يطمئنه:

- نعم، لقد خرجت منذ قليل وطمأننا عليها الطبيب لكنها نائمة.

نظر مراد لرؤف وقد شعر أنه في حالة إعياء شديد، فقال له:

- رؤوف يجب أن تذهب إلى المنزل لتستريح... أنا ووالدي سوف نذهب إلى المنزل أيضاً بعد قليل، وسوف تبقى والدتي برفقة شادن...

نهض رؤوف وغادر المستشفى فى محاولة للهروب من ذكرياته المؤلمه ومن لهفته وخوفه الشديد على شادن... دخل رؤوف إلى منزله وصعد إلى غرفة نومه وهوى على سريره وراح في نوم عميق من شدة الإجهاد النفسي قبل الإجهاد الجسدي...

استيقظ رؤوف من نومه في حوالي الساعة العاشرة صباحاً ، كان يشعر أنه إنسان آخر تماماً محطماً نفسياً بشكل مفزع... فقد كان طوال عمره ممزق نفسياً من الظروف الحزينة التي مرت به في فجر شبابه وقد كان يزيد من هذا التمزق معاناة والده لفراق أمه وشعوره بأنه لا يستطيع التخفيف عنه... ولكنه لفترة من الزمن كان قد تغلب نسبياً على هذا الشعور بالتمزق داخله بسبب انشغاله بدراسته و من بعد ذلك عمله وأسفاره المتكررة لجميع أنحاء العالم... لفترة من الزمن شعر رؤوف أنه قد أصبح إنسان قوي وانه قادر على تحمل أي ظروف يتعرض لها... ولكنه تأكد بالأمس أنه أضعف من أن يتحمل ما قد تحمله والده... ولذلك عندما نهض رؤوف من نومه كان قد توصل لقرار وصمم على تنفيذه، قال لنفسه وهو يشعر بشرخ في قلبه:

- لا يمكن أن امر بما مر به والدي أبداً... لا يمكن أن اتزوج شادن ثم تتركني كسير القلب وتفترق عني لأي سبب لا يمكن لا يمكن أن اتحمل ذلك.

كانت شادن على الطرف الآخر فى المستشفى قد استيقظت وهى تشعر ببعض التحسن الذي يتخلله ألم من آثار الجراحة... كانت تنظر إلى الباب بين الحين والآخر وهى متوقعة دخول رؤوف عليها مبتسماً يهنئها بسلامتها ويحمل لها بين يديه باقة جميلة من الزهور... أتى إلى شادن الكثير من الزوار ولكن لم يكن بينهم من تتمناه... كان رؤوف فى هذا الوقت يقرر الهروب من ذكرياته ومن نفسه لذا فقد صمم على السفر للخارج وعدم العودة إلى مصر ولو أصر شريكه على نقل نشاطه التجاري الى مصر سوف يفض الشركة التي بينهما.

كان رؤوف يتصرف على هذا النحو لأنه يمتلك نفسية شفافة لا تتحمل أي جرح فهو على الرغم من مظهره الصلب إلا أنه يحمل قلبا ونفساً هشة سريعة الكسر لقد كان رؤوف يعاني من عقدة نفسية لم يستطع في الواقع التغلب عليها أبداً ولقد فجرها بداخله ما مر به من أحداث فى الليلة الماضية لذا تصرفاته كانت تحمل طابعاً هستيرياً مرضياً... لقد كان بالفعل يستحق الشفقة...

خرجت شادن من المستشفى بعد عدة أيام... وهى تشعر بالغضب من رؤوف لتجاهله التام لها وعدم سؤاله عنها ولا حتى بتليفون... وكانت تارة تشعر بالقلق عليه فهى تعرف أنه يحبها لا بد أن يكون ما منعه شئ قاهر... كانت تحترق شوقاً للذهاب إلى منزلها لمعرفة أخبار رؤوف...

في اليوم التالي لخروج شادن من المستشفى كانت بغرفتها مستلقية على سريرها عندما ترامى إلى مسامعها صوت والدها وهو يحدث والدتها وقد تردد اسم رؤوف في الحديث، فتحاملت شادن على نفسها وخرجت من غرفتها وجدت والدها ووالدتها يجلسان بغرفتهما ويتحدثان، كان والدها يقول:

- لقد حاولت إقناعه بعدم البيع والانتظار قليلاً حتى يأتي السعر المناسب ...

قالت والدتها:

- عجباً... ألم يقل لك يا شكري يوم أن أتى للتعرف بك قبل عيد ميلاد شادن بيومين أنه ينوي الاستقرار بمصر وحدثك عن نشاطه التجاري ورغبته في أن تكون مستشاراً قانونياً لهذه الشركة...

قالها لها زوجها:

- نعم هذا ما حدث بالفعل... لقد تعجبت مثلك تماماً ولكني لا أدري سبب تغيِّره لرأيه بهذه السرعة... لقد حاولت بطرق غير مباشر معرفة السبب ولكنه لم يفصح... لكني شعرت أن حالته النفسيه على غير ما يرام, لقد كان زائغ البصر وذقنه غير حليقة على غير عادته، وكان متوترا بشكل ملحوظ.

عند هذا النحو تأكدت شادن أن من يتحدثون عنه هو رؤوف... عادت إلى غرفتها وهى تشعر أنها تائها وجلست تحدث نفسها:

- يا إلهي أينوي رؤوف بيع ممتلكاته والسفر للخارج مرة أخرى... ما الذي حدث يجب أن أتحدث معه.

حاولت شادن أن تتحدث إليه تليفونياً ولكن دون جدوى فقد كان تليفونه يرن دون إجابة من أحد...

استغلت شادن نوم والدها ووالدتها بعد الغداء وارتدت ملابسها وخرجت من المنزل متجهة إلى فيلا رؤوف وهى تتحامل على نفسها... دخلت شادن وطرقت باب الفيلا الداخلي... وفجأة انفتح الباب ووجدت نفسها وجهاً لوجه أمام رؤوف وقفت تنظر إليه بعتاب ولكن سرعان ما شعرت بالقلق عليه عندما رأته على هذه الحالة... فكان كما وصفه ابوها زائغ العينين طويل الذقن وقميصه مجعد أفسح لها الطريق لتدخل دون أن ينبس بكلمة، دخلت شادن وأغلقت خلفها الباب، وسألته:

- رؤوف... ماذا حدث... لا تأتي لزيارتي وأنا مريضة...

أدار لها رؤوف ظهره فهو لا يقوى على النظر بعينيها... يشعر بضعف شديد تجاهها، قال لها بصوت ضعيف متوتر:

- شادن سوف أغادر مصر غداً...

ذهلت شادن، ولكنها حاولت معرفة السبب قائلة :

- تسافر لبعض الأعمال ثم تعود أليس كذلك؟

قال رؤوف بحزم:

- لن أعود

صرخت شادن:

- ماذا تقول... لن تعود... رؤوف انظر إلي

وضعت شادن يدها على ظهره لتديره إليها... فشعرت بعضلات ظهره وهى تتصلب، فقد كان يضعف أمام أي لمسة منها ، قالت له شادن:

ماذا حدث يا حبيبي... نسيت بهذه السرعة ما كان بيننا... ألا تذكر حديثنا بالشرفة يوم عيد ميلادي... رؤوف حدثني...

استدار لها رؤوف لأول وهلة شعرت أنها أمام إنسان غريب – ليس رؤوف هو من أمامها أين نظراته الدافئة... أين صوته الحنون... أين رقته التي كان يغمرها بها... من هذا الواقف أمامها ينظر إليها بجمود، قال لها رؤوف بإصرار وحزم:

سوف أغادر البلاد غداً يا شادن... ولن أعود أبداً... ولا تسأليني عن السبب.

قالت له شادن بصوت واهن وهى تستعطفه:

رؤوف يا حبيبي... أنسيت حبك لي بهذه السرعة... أنسيت أننا تعاهدنا على الزواج؟

صرخ فيها رؤوف بطريقة هستيرية أفزعتها:

لن أتزوجك يا شادن... لا تجرحي كرامتك أكثر من ذلك... لن أتزوجك... أفهمتي؟

نزلت الدموع من عيني شادن رغماً عنها، فقد شعرت بجرح هائل في كرامتها، خرجت من منزل رؤوف وهى تجري على الرغم ما تشعر به من ألم جسدي, فقد كان ألمها النفسي أعمق وأشد... دخلت غرفتها وارتمت على سريرها... وهى تبكي بحرقة... لا تذكر أبداً أنها بكت من قبل... كأنها قد ادخرت كل دموعها لهذا اليوم... أخذت شادن تبكي وتبكي حتى

شعرت أنها تسبح في... في بحر من دموعها... لقد أحبت هذا الرجل كما لم تحب أحد من قبل... وقد جرحها هذا الرجل كما لم يجرحها احد من قبل...

كانت الساعة الثامنة من مساء اليوم التالي ... عندما كان رؤوف يخرج من باب الفيلا وهو يحمل حقائبه مستعداً للرحيل... وقفت شادن لتراقبه من خلف زجاج غرفتها، وحرصت على أن تكون الغرفة غير مضاءة حتى لا يراها وهى تراقبه، وجدته قد رفع رأسه إلى أعلى نحو نافذتها كانه يحاول توديعها،دخل رؤوف إلى الليموزين التي كانت ستنقله إلى المطار وأغلق الباب، شعرت شادن أن هذه السيارة تحمل بداخلها ما كانت تتمناه من الحياة، بدأت السيارة في التحرك تراقبها عينا شادن حتى اختفت عن الأنظار... شعرت شادن بالضياع بعد رحيل رؤوف، وبدأت تتذكر كل ما مر بها من أحداث مع رؤوف منذ أن رأته أول مرة... مقابلاتهما اليومية وشربهما للشاي بالحديقة... وسماعهما لصوت الكروان... ومحادثاتهما الليلية والناس نيام... عالمهما الخاص كانت شادن تشعر ان رؤوف هو شطر نفسها ... لذلك فإنها تشعر الآن بأنها قد فقدت مع رحيله جزءاً كبيراً من نفسها... كأنها قد أصبحت نصف إنسان أما النصف الاخر فقد رحل مع رحيل رؤوف....

جلست شادن تحدث نفسها من خلال دموعها قائلة:

أيتها الدنيا ليس لك أمان الويل كل الويل لمن يعطيك الأمان.

اجهشت شادن بالبكاء في محاولة لغسل نفسها من هذا الشعور بالضياع الوحدة والحزن، كانت تبكي وتبكي وهى تردد لنفسها بصوت كسير مجروح الفؤاد:

يا ويلي لقد أدميت قلبي... أدميته بيدي

* * * * * * * *

الفصل السابع

كان قد مر عام على ترك رؤوف لشادن وإصراره على السفر مرة أخرى للخارج، منذ افتراقها عن رؤوف أصبحت تنفر من كل من يحاول التقرب منها أو التودد إليها...

كنفور الظباء في البوادي عند اقتراب الصياد منها... ترك رؤوف بداخلها جرح هائل في كرامتها أفقدها توازنها تماماً... جعلها تفقد الإيمان بالحب... رَوَّعها رؤوف من الحب فصدق عليها قول أمير الشعراء (أحمد شوقي) حين قال:

رَوّعوه فتولى مغضبا أعلمتم كيف ترتاع الظّبا
خُلِقت لاهية نـاعمـة رُبما روّعها مُرُّ الصـبـا

كانت شادن كالطائر الجريح الذي لا يستطيع الوقوف أو الطيران مرة أخرى إلا بعد أن تلتئم جراحه، فينزوي كسير النفس فى ركن بعيد حتى تلتئم تلك الجراح... لفترة من الزمن أحست شادن أن جراحها لن تلتئم أبداً فلقد جرحها رؤوف جرح عميق نال من قلبها وكرامتها وثقتها بالناس. خلال هذا العام كانت شادن تكره الخروج من المنزل كثيراً... كانت تفضل الوحدة أكثر كأنها تريد أن تلملم اشلاء نفسها الممزقة، وعنما كانت تخرج كانت تفضل الذهاب إلى الأماكن الهادئة كأنها تريد أن تهرب بنفسها بعيداً عن أعين الناس الفضولية – حتى لا يسألها أحد عن تغير طبعها المرح وضحكاتها الشقية وسكون هذا الحزن بعينيها، وملامح وجهها... كانت امها وكذلك أبيها يشعران بما تمر به من حالة نفسية ولكن لم يعرفا أبداً السبب وقد حاولا كثيراً معرفة سبب ما تمر به من اكتئاب وحزن ولكن دون جدوى فكان دائماً ردها بهدوء شديد :

- أنا بحالة جيدة لا داعي للقلق علي...

يصمتان وهما يتألمان لذلك، وحاول أخوها مراد معرفة السبب – فهو قريب منها جداً – ولكن دون جدوى، فكانت تنظر إليه بعينين حزينتين، وتحاول الإبتسام فتخرج ابتسامة حزينة هزيلة وهى تجيبه بنفس الإجابة التي تجيب بها والديها، لم تعترف لأحد بقصتها مع رؤوف، إلا صديقتيها الوحيدتين لبنى وشاهنده – عندما ألحا عليها بشدة – لمعرفة سبب حزنها واكتئابها النفسي، وتغير شخصيتها، حكت لهما شادن وهى تريد أن تخرج صرخات قلبها الذي يئن من جرح حبها الأول...

بعد معرفة صديقتيها بقصتها مع رؤوف حاولت كل منهما إخراجها مما هى فيه كل واحدة بطريقتها فكانت لبنى تاخذ طفلتها التي تحبها شادن كثيراً وتذهب اليها يوماً بعد يوم.

أما شاهنده فقد ألحت على والد شادن ووالدتها حتى وافقا على سفر شادن معها لقضاء الصيف في قرية (ماربيلا) إحدى القرى السياحية للساحل الشمالي... حيث كانت عائلة شاهنده تمتلك شاليه رائع على البحر مباشرة... بعد عودة شادن من الساحل الشمالي كانت نفسها الجريحة قد تحسنت قليلاً كأنها قد رمت جزءاً من متاعبها بالبحر...

أقنعت شادن نفسها بان الزمن كفيلاً بأن يشفى جراحها لذلك خرجت من تجربتها وهى أكثر صلابة من ذى قبل... عانت كثيراً خلال هذا العام حتى استطاعت اخيراً أن تتغلب بإرادتها على جرحها العميق واخذت تعد تدريجياً إلى طبيعتها وشخصيتها الأولى ولكنها أصبحت الآن أكثر صلابة وقوة لم تعد تلك الفتاة الرومانسية الحالمة ذات القلب الهش سريع الكسر

والنفس الزجاجية التي سرعان ما تتحطم... أصبحت الآن تتحكم بمشاعرها كثيراً وتفكر جيداً فى الخطوة قبل أن تخطوها... وفى تلك الفترة كان لقائها بعصام بدر الدين....

كانت شادن في زيارة لمتحف "محمد محمود خليل" هذا المتحف الذي يضم مجموعة من اللوحات والتماثيل من أروع ما رسم ونحت الرسامين والنحاتين العالميين... كانت تقف أمام لوحة "زهرة الخشخاش" للرسام الهولندي الشهير "فنسنت فان جوخ"، هذا الرسام الذي يعتبر بإجماع النقاد أعظم الرسامين الهولنديين بعد رامبراندت، وكانت شادن تتأمل اللوحة وهى تتعجب لهذا الرسام الشهيرالمختل عقلياً هذا الفنان الذي لم يبدأ الرسم إلا فى السنوات العشر الأخيرة من عمره ، والذي بلغ ذروة نضوجه الفني في السنوات الثلاث الأخيرة قالت شادن لنفسها وهى تتامل لوحة زهرة الخشخاش:

- كيف لرسام مختل عقليا انهى حياته منتحراً بالرصاص، فشل في كل عمل التحق به وكل دراسة حاول أن يدرسها وكل تجربة عاطفية مر بها، كيف يمكن لمثل هذا الشخص ان يحقق تلك الشهرة... ولما تباع لوحاته الان بملايين الجنيهات...

كانت شادن تتأمل اللوحة باهتمام بالغ لم تشعر ان هناك شخص يقف بجانبها يتأملها إلا بعد أن سألها:

- الهذا الحد تشدك لوحة فان جوخ...

استدارت شادن ناحية الصوت الذى يأتي من جانبها لترى محدثها... كان شاباً في حوالي الثلاثين من عمره... أبيض البشرة... متوسط الطول...

شعره أسود حالك ناعم وطويل إلى حد ما... وكان له شارب مهندم، كان يرتدي بنطلون أبيض اللون وقميص مزركش بألوان زاهية... لأول وهلة لم تشعر شادن بأية انجذاب نحوهذا الشخص، بل على العكس احست بنفور منه لفضوله وتطفله عليها...

ردت عليه شادن بصوت هادئ ولكنه حازم في نفس الوقت:

- لا أدري إن كانت لوحة فان جوخ تشدنى إعجاباً ام تساؤلاً ...

أثار رد شادن فضوله سائلاً :

- ألا تعجبك "زهرة الخشخاش" ... إنها من أشهر وأعظم اللوحات بالعالم...

نظرت إليه شادن بعدم اهتمام وسارت في طريقها لتنتقل الى قاعة أخرى لمشاهدة باقي لوحات المتحف، لم يضايقها هذا الشاب ولم يكلمها مرة أخرى... انتهت شادن من زيارتها للمتحف واستقلت سيارتها عائدة إلى منزلها بحي المعادي، عند وصول شادن لمنزلها أوقفت سيارتها أمام منزلها ونزلت منها وهي تتحاشي النظر إلي الفيلا التي أمامهم, كانت هذه عادتها منذ عام منذ افتراقها عن رؤوف وهي تحاول أن تتحاشي النظر إلي فيلته حتي لا تتذكره.. دخلت شادن إلي منزلها وجدت أمها تجلس في بهو الفيلا وهى تقلب فى شئ بيدها, عندما اقتربت منها شادن وجدتها بطاقة دعوة فابتسمت وهى تقول لأمها:

- أكيد هذه دعوة فرح شاهنده... أليس كذلك...

ابتسمت أمها وهى تقول:

- لقد جاءت شاهنده لإعطائك دعوة الفرح بنفسها وظلت جالسة معي تنتظرك أكثر من ساعة ثم استأذنت وانصرفت، فورائها اشياء كثيرة...

قال شادن لأمها:

- حقاً أنا لم أكن أعرف ان شاهنده سوف تأتي اليوم ... عندما حدثتني أمس بالتليفون، قالت لي أنهم حددوا موعد الفرح بعد أسبوعين وأنها سوف تأتي لإعطائي الدعوة ولكنها لم تقل لي متى سوف تاتي...

أعطتها أمها الدعوة وهى تبتسم وتقول لها:

- ألحت شاهنده كثيراً حتى نذهب جميعاً ولا نتأخر، وقد كلمتني امها أيضاً... إن شاء الله سوف نذهب طبعاً، فشاهنده ليست صديقتك فقط فصداقة عائلتها بنا تمتد منذ زمن طويل...

نظرت شادن في الدعوة ثم قالت:

- كويس إن الفرح يوم خميس ختى يأتي بابا معنا ولا يتحجج بالمكتب فيوم الخميس إجازته....

مر أسبوعين لم يكن بهما جديد في حياة شادن... سوى أنها قد بدأت تفكر جديا في العمل، فمنذ تخرجها وهى لا تعرف ماذا تعمل بالتحديد.. فقد أتى لها والدها بالكثير من الوظائف في شركات مختلفة، كما أنه عرض عليها كثيرا التدريب في مكتب المحاماه الذي يمتلكه – حتى تمتهن مهنة المحاماة بعد عامين من التدريب – فتكون معه بمكتبه وكان دائماً يقول:

- أتكون ابنتي محامية مع إيقاف التنفيذ هكذا....

كانت شادن لا تعرف بالتحديد ماذا تريد أن تعمل، كان بداخلها الكثير من الطموح الذي كان يتمثل في عشق مساعدة الآخرين والحب الشديد لتقديم المساعدة للضعفاء، كانت شادن تتمنى بشدة أن يوفقها الله للقيام بمشروع خيري كبير تستطيع بمقتضاه مساعدة الضعفاء... كانت تحلم بأن تبني ملجأً كبيراً للأطفال الأيتام وكان يحزنها كثيراً ولا تستطيع مقاومة دموعها عند رؤيتها لتلك الاطفال المشردين البائسين وهم ينامون بالشوارع وعلى الكباري، وفي مداخل العمارات، وكانت دائماً تقول لنفسها:

- هؤلاء الاطفال المشردين هم بذور لمجرمين المستقبل... أي طفل هذا الذي يأكل وينام ويعيش حياة كاملة بالشارع لا يعلم شيئاً عن الأخلاق أو الدين أو الحلال أو الحرام, طفل يربيه الشارع لن يكون إلا مجرماً أو إرهابياً ...

كما كانت تحلم شادن كذلك بتبني مشروع خيرى يجد بمقتضاه فئة من الناس العمل الشريف الذي يكفيهم شر الحاجة وهم فئة من البشر ينفر منها كل الناس، هم الخارجين من السجون بعد انقضاء فترة عقوبتهم كانت شادن بحكم دراستها للقانون وبحكم عمل والدها كذلك كمحام كبير، ورثت عنه عشقه للعدالة ومساعدة الآخرين وبحكم ذلك كانت شادن تحلم بالعدالة الإجتماعية، كانت تتمنى أن يقوم كل صاحب ورشة أو مصنع أو شركة او محل تجاري بإيجاد فرصة لديه لشخص تائب، فليس كل من يدخل إلى السجن هو مجرم بطبعه، ولكن في بعض الأحيان تكون هناك ظروف قهرية تبعد الإنسان عن المسار الصحيح، ولذلك يجب أن يتكاتف المجتمع

لمساعدة هؤلاء القلة الخارجين عن القانون، ذلك بعد دراسة حالتهم تماماً والتأكد من توبتهم ورغبتهم في السير على الطريق الصحيح...

كانت أحلام شادن كبيرة ولهذا لم تكتف أبداً بأن تعمل مجرد موظفة بشركة كبيرة ولكنها اقتنعت أن ربما كان عملها لدى والدها كمحامية سوف يتيح لها الفرصة لمساعدة المحتاجين, وربما أتاح لها الفرصة لتحقيق أحلامها الكبرى...

* * * * * * * *

الفصل الثامن

كانت الساعة السابعة مساءً... وكان اليوم الخميس عندما وقفت شادن أمام المرآة تستعد لحضور فرح صديقتها شاهنده بعد يوم شاق قضته شادن منذ الصباح الباكر مع شاهنده ولبنى، حيث طلبت شاهنده من صديقتيها عدم تركها ومصاحبتها منذ الصباح، لشعورها بالتوتر، لدخولها حياة جديدة، غير مألوفة لديها...

كانت لبنى قد مرت على شادن الساعة العاشرة صباحاً، وذهبتا إلى صدقتيهما، حيث تناولا الإفطار معها، وجلسن يتحدثن... في الساعة الثانية عشر ظهراً ، ذهبن جميعاً ومعهن والدة شاهندة إلى مصفف الشعر، حيث مكثن لديه حتى الساعة الرابعة عندئذٍ استأذنت شادن ولبنى في الإنصراف حتى تستعدا للحفل في الليل... عندما دخلت شادن إلى منزلها صعدت فوراً إلى غرفتها حيث أخذت دشاً دافئاً، خرجت بعده هادئة الأعصاب وفي حالة استرخاء... طلبت شادن من أمها أن توقظها بعد ساعتين لاحتياجها للنوم حتى تستطيع السهر... عندما دقت الساعة السادسة والنصف أفاقت شادن على صوت امها تناديها برقة وحنان وهى تضع بجانبها فنجاناً من الشاي لكي ينشطها...

وقفت شادن أمام المرآة تتأمل نفسها بعد أن استعدت تماماً للذهاب إلى الحفل ، كانت ترتدي فستاناً أسود اللون ... طويل الى حد ما... له أكمام واسعة شفافة... أما شعرها فقد أسدلته في رقة ونعومة، ووضعت على شفتيها أحمر شفاة برتقالي اللون... لبست شادن في قدميها حذاء ذو كعب عالي أسود اللون له لمعه رائعة وعلى جانبه توكه ذهبية اللون... وضعت شادن على معصمها وخلف أذنيها قطرات من العطر الذي تفضله...

ورفعت جانباً من شعرها بفيونكة ذهبية اللون... ولبست في اذنها قرط طويل أسود اللون وبه حبات ذهبية... كانت شادن قد استعدت تماما للخروج والتقطت حقيبة يدها الصغيرة المصنوعة من نفس جلد ولون الحذاء وهمت بالخروج عندما تذكرت أنها لم تضع البروش الذهبي التي أحضرته خصيصاً لهذا الفستان... عادت شادن وفتحت دولاب ملابسها واخرجت منها علبة البروش عندما وقعت عيناها على علبة أخرى موضوعة على الرف العلوي مدت شادن يدها بأصابع مرتعشة ناحية العلبة وهى تعرف تماماً ما بها ولكنها لا تدري لما أرادت إلقاء نظرة على محتويات العلبة وعندما فتحتها ورأت ما بها أغمضت عيناها بحركة تلقائية كأنها تهرب مما رأته...

كان بالعلبة الأسورة الماسية التي أهداها لها رؤوف يوم حفل عيد ميلادها ارتعشت شادن وهى واقفة عندما تذكرت لمسات يدي رؤوف الحانية على يديها وهو يلبسها تلك الأسورة ، جلست شادن على طرف سريرها لأن قدميها لم تعد تقويان على حملها عند تذكرها لقبلة رؤوف على معصمها، مازالت تذكر لمسة شفتيه على يدها... أغلقت شادن العلبة بعنف ثم ألقتها على فراشها وخطفت حقيبة يدها وخرجت مسرعة من غرفتها...

عندما وصلت شادن وعائلتها إلى الحفل المقام بأحد الفنادق الكبرى وجدت والد شاهنده ووالدتها في انتظار المدعوين... لم تكن زفة العروسين قد وصلت بعد... جلس والد شادن ووالدتها ومراد على المائدة المعدة لهم أما شادن فقد جلست مع صديقتها لبنى تنتظران وصول زفة العروس... كانت شادن ولبنى تتحدثان عنما لمحت شادن على احد الموائد وجه بدا لها

مألوف... تذكرت على الفور هذا الوجه المألوف كان هذا الشاب المتطفل الذي كلمها بمتحف "محمود خليل" منذ أسبوعين تقرياً وهى تقف أمام لوحة "زهرة الخشخاش" كانت شادن ترقبه بفضول وهى تريد أن تعرف ما الذي اتى بهذا المتطفل إلى الحفل... هل هو من أقارب شاهنده أم من أقارب حازم عريسها.... تتبعت لبنى نظرات شادن وأدركت انها مسلطة على الشاب الذي يجلس وحده منهمكا في كتابة شئ ما... كانت مائدته لا تبعد كثيراً عن مائدة شادن ولبنى.

ابتسمت لبنى وهى تقول لصديقتها مداعبة:

- شاب لطيف...

قالت لها شادن بعدم اكتراث:

- من هو...

ضحكت لبنى وهى تغمز بعينيها لشادن قائلة:

- من نراقبه عن بعد...

اغتاظت شادن وقالت لصديقتها:

- ماذا؟ تصورتي أننى أراقبه؟... لا يا لبنى لكني تذكرت أنني رأيته منذ أسبوعين بمتحف "محمود خليل" وهو شخص متطفل للغاية...

ثم قصت شادن للبنى ما حدث بالمتحف عندئذٍ قالت لها لبنى:

- ولكنه لطيف يا شادن لماذا أحرجته ولم تردي عليه؟...

قالت شادن لصديقتها:

- ولماذا أرد عليه... شاب وقح ومتطفل أنا لا أحب هذا النوع...

سكتت لبنى وقد شعرت من حديث شادن أنها ليست على استعداد للتعرف على احد بعد تجربتها مع رؤوف على الأقل في الوقت الحاضر، فرؤوف ما زال ينبض بقلبها

بدأت الموسيقى العالية ودقات الطبول تصل إلى مسامعهم... فقالت لبنى:

- هيا بنا يبدو أن زفة شاهنده قد وصلت...

قامت لبنى وشادن لحضور زفة العروسين، وتعمدت شادن أن تسير من خلف الموائد حتى لا تمر أمام هذا الشاب ويراها...

عندما انتهت الزفة ودخل المدعوون جميعاً إلى القاعة... ذهبت لبنى وشادن لتحية شاهنده صديقتهما وعريسها، وعند عودة شادن ولبنى إلى مائدتهما لمحت هذا الشاب وهو واقف يتحدث مع والد شاهنده... قالت شادن لنفسها:

- حمداً لله أن هذا الشاب المتطفل لم يلحظ وجودي بالحفل

بدأ الحفل بدعوة العروسين لافتتاح البست برقصة ناعمة على أنغام الموسيقى الهادئة الناعمة... ومع الأضواء الخافتة وتلك الموسيقى الناعمة التي قاطعتها شادن منذ ما يقرب من عام أو أكثر... فمنذ سفر رؤوف وهى تتعمد أن تتجاهل كل ما يذكرها به في محاولة لنسيانه، فبعد سفره قامت بوضع كل أشرطة الموسيقى في أحد الأدراج وأغلقتها ولم تحاول فتحها بعد ذلك، وحتى الشعر الذي كانت تعشقه لم تحاول قراءة قصيدة نسيب واحدة – حتى لا تشتعل مشاعرها وجراحها التي تحاول تضميدها... فأقتصرت قراءتها للشعر على جميع انواعه ماعدا النسيب... كانت شادن تقاوم بعنف ذكرياتها مع تلك الموسيقى، حتى

أنها تمنت لو تنتهي تلك الرقصة التي بدت لها أنها بلا نهاية، عندما أضيئت الأضواء العالية معلنة انتهاء الرقصة تنفست شادن الصعداء... كانت تشعر أنها بحاجة إلى بعض الهواء الطلق، وكانت فرصة عندما بكت نهى إبنة لبنى لرغبتها في دخول الحمام، فقامت شادن مع صديقتها وإبنتها الصغيرة... وعند عودة شادن مرة أخرى إلى الحفل كانت شادن قد شعرت ببعض الـراحـة.

جلست شادن ولبنى على المائدة يتحدثان ويتغامزان على شاهنده التي تبدو كعروس مقيدة الحركة وتشعر بالخجل، لأن تلك الأنظار مسلطة عليها في تلك الليلة... كانت شاهنده تشعر أنهما يتضاحكان عليها فكانت تبتسم لهما... بعد بداية الحفل بقليل شعرت شادن بفضول لمعرفة ماذا يفعل هذا الشاب، فالتفتت ناحية مائدته لترى ماذا يفعل وتسمرت عيناها عندما وجدته يراقبها في هدوء كأنه ينظر إليها منذ فترة... ابتسم لها هذا الشاب عندما رآها تنظر إليه، فقالت شادن لنفسها وهى تشيح بوجهها عنه دون أن تبادله الإبتسام:

- هذا اللعين يبدو أنه قد عرفني...

قررت شادن ألا تنظر ناحية هذا الشاب مرة أخرى... كانت شادن منهمكة في الحديث مع لبنى، وجدت صوتاً يأتي من جانبها يقول لها:

- كيف حالك يا شادن...

التفتت شادن بسرعة نحو هذا الصوت فوجدت هذا الشاب يقف بجانبها مبتسماً...

فقالت له في حدة:

- كيف عرفت إسمي...

ضحك بمرح وهو يجلس على كرسي بجوارها:

- لم أكن أعرف أن إسمك سر من الأسرار الخطيرة...

ضحكت لبنى لكلامه فرمقتها شادن بغضب، أما هذا الشاب فقد التفت إلى لبنى قائلاً:

- أنتِ بالتأكيد لبنى... وهذه القطة الصغيرة بالتأكيد نهى... ثم أخذ يداعب الصغيرة وهى تضحك له في براءة....

قالت له لبنى وهى تحاول أن تداري معاملة شادن العنيفة له:

- يبدو أنك تعرفنا...

ابتسم وهو يقول مشيراً إلى شاهنده:

- البركة في شاهنده... ثم أضاف موضحاً ومعرفاً بنفسه:

- أنا عصام بدر الدين إبن عم حازم عريس شاهنده...

قالت له لبنى:

- الآن عرفنا...

قال عصام:

- لقد رأيت شادن منذ حوالي ربع ساعة وجلست أراقبها حتى تأكدت أنها هى من رأيتها بالمتحف فقلت لنفسي لابد أنها من أقارب شاهنده العروس، لأن عائلة حازم كلها تقريباً أعرفها، فأنا إبن عمه وبالفعل قمت وسألت شاهنده، وأنا أشير لها ناحية فتاة المتحف الغامضة، فقالت لي أن إسمك شادن وهى أعز صديقة لها هي ولبنى التي تجلس بجوارها، وعرفتني أيضاً بتلك الصغيرة نهى...

كان عصام يتحدث وهو ينظر إلى شادن من وقت لآخر حتى تهتم به قليلاً، أو تنظر إليه... لكنها كانت تنظر في الاتجاه الآخر ولا تنظر إليه أبداً، كانت المائدة التي تجلس عليها شادن ليس عليها سوى لبنى وعصام ونهى الصغيرة فقط، أما زوج لبنى فمنذ بدء الحفل وهو يجلس على مائدة أخرى بجوار مراد أخو شادن – فهو صديق له منذ أن كانا معاً في كلية الهندسة... أما والد شادن ووالدتها فكانا يجلسان على مائدة اخرى بعيدة مع والد شاهنده ووالدتها... وهكذا وجدت لبنى أن الجو مناسب لكي تترك عصام وشادن على انفراد قليلاً ليتحدثا، فقد لمحت نظرات الإعجاب في عيني عصام التي يرمق بها شادن... قامت لبنى وهى تقول لها:

- سوف أخرج بنهى قليلاً خارج الحفل، فهى تنزعج بشدة من تلك الأصوات العالية هنا...

عندما تركتهم لبنى وجدها عصام فرصة، فنظر إلى شادن وهو يقول بجدية:

- لماذا تتحاشين النظر إلي هكذا، ألهذه الدرجة وجهي قبيح...

لم تستطع شادن أن تتمالك نفسها من الضحك... فنظر إليها مندهشاً وهو يقول:

- أنتِ عجيبة حقاً، عندما أضحك معكِ تعبثين في وجهي وعندما أتكلم بجدية تضحكين... أنا أريد ان أعرف حقاً لماذا تتحاشين النظر إلي...

نظرت إليه شادن وهى تقول:

- ولماذا اتحاشى النظر إليك...

قال لها عصام:

- لا أدري... ثم أضاف:

- حسناً يمكننا أن نتصالح الآن...

ابتسمت شادن وهى تهز رأسها متعجبة له:

- أكنا متخاصمين...

ضحك عصام وهو يقول:

- نعم لقد خاصمتك منذ أن تجاهلتني بالمتحف

قالت له شادن:

- فقط أنا لا أحب أن أكلم الأغراب، لهذا شعرت أنك متطفل

قال لها عصام وهو يبتسم:

- إذاً يمكننا الآن أن نتكلم فأنا الآن لست غريباً..

قالت له شادن:

- نعم... إلى حد ما...

قال لها عصام في محاولة للتقرب منها وقد لمس نفورها وعدم تجاوبها في الحديث معه:

- من زيارتك لمتحف "محمود خليل" لمست أنكِ تهتمين بالفن التشكيلي، أليس كذلك...

قالت له شادن باهتمام:

- نعم، أنا أعشق الفن التشكيلي...

قال عصام:

- إذاً لن ترفضي لو قدمت لكِ دعوة لحضور معرض سوف ترين فيه أجمل اللوحات للمناظر الطبيعية...

قالت له شادن بفضول:

- أهو معرض خاص بك... أنت إذاً فنان تشكيلي...

ابتسم عصام وقال لها:

- لا أنا فقط أهوى الفن التشكيلي مثلك، وإن كان لي محاولات كثيرة في رسم الكثير من اللوحات لكن لم أفكر بعد في إقامة معرض... هذا المعرض خاص بصديق لي..

قالت شادن بفضول:

- إذاً ماذا تعمل...

قال عصام:

- أنا محاسب بأحد البنوك الأجنبية الكبرى... وأنتِ يا شادن، أتعملين...

قالت شادن:

- أنا حاصلة على ليسانس الحقوق ولكن لم أعمل بعد، وإن كنت أفكر في هذه الأيام في العمل لدي والدي فهو محامي أيضاً ويمتلك مكتب للمحاماة...

جلست شادن وعصام يتحدثان في أمور كثيرة... كانت لبنى كلما رأتهما منهمكان في الحديث شعرت بفرحة داخلية فربما تكون صديقتها قد عثرت على الشخص المناسب.

كانت لبنى تراقبهما من بعيد وهى لا تريد قطع حديثهما... كان عصام شاب خفيف الظل وحديثه شيق، لذا لم تشعر شادن بالملل من حديثه حتى قطع حديثهما صوت الموسيقى الذي يعلن افتتاح البوفيه...

قرب نهاية الحفل، أكد عصام على شادن مرة أخرى لحضور المعرض التشكيلي وأعطاها الدعوة موضحاً بها المكان والزمان... كان ميعاد المعرض بعد يومين بأحد الفنادق الكبرى، كانت شادن لطيفة ومهذبة مع عصام طوال الحفل، لكنه عندما طلب منها في نهاية الحفل رقم تليفونها ليطمئن عليها من وقت لآخر، قالت له في حدة:

- ليس هناك داعي لذلك... أنا لا أعطي رقم تليفوني لأحد..

قال لها وهو يغمغم معتذراً:

- أنا آسف لم أقصد شيئاً... أتحبي أن أعطيكي أنا رقم تليفوني....

قالت شادن ببرود:

- ليس هناك داعي...

بعد انتهاء الحفل عادت شادن وعائلتها إلى منزلهم... صعدت شادن الى غرفتها، كانت حقاً مرهقة جداً محتاجة إلى النوم... بدلت ثيابها سريعاً بثياب النوم وهمت بدخولها للفراش عندما تذكرت شيئاً... فتحت حقيبة يدها وأخرجت منها تلك الدعوة التي أعطاها لها عصام لحضور المعرض، نظرت بها قليلاً ثم مزقتها وألقت بها على الكومودينو ودخلت إلى فراشها وقد قررت عدم الذهاب إلى هذا المعرض فهى لا تريد اقتحام احد لحياتها مرة أخرى، فقد شعرت أثناء الحفل بان عصام يخطط لاقتحام قلبها ولن تمكنه من ذلك فلم يعد لديها ثقة بأحد... عندما مزقت شادن الدعوة وقررت عدم الذهاب شعرت بارتياح وسرعان ما استسلمت للنوم العميق...

* * * * * * * * *

الفصل التاسع

كانت الساعة الثامنة مساءً عندما دق جرس الهاتف بمنزل شادن...

وعندما ردت شادن تهللت فقد كانت المتحدثة هي شاهنده.

قالت شادن لصديقتها مداعبة:

- انتهى شهر العسل بهذه السرعة... متى حضرت من السفر

ردت شاهنده:

- لقد حضرنا امس فقط...

سألت شادن صديقتها:

- كيف حالك أعجبتك اليونان...

قالت شاهنده بفرحة:

- جداً يا شادن لا تتصوري كم هي رائعة اليونان لقد ذكرتني بالإسكندرية، فيها الكثير من المقاهي المنتشرة في كل مكان كتلك المقاهي على كورنيش الإسكندرية مثل "أتينوس" وغيره

قالت شادن:

- إذاً فقد قضيت أنت وحازم وقت ممتع...

قالت شاهنده:

- قضينا وقت رائع... تصوري هناك الكثير من الرجال والنساء الكبار في السن يعرفون اللغة العربية... فقد كان الكثير منهم في الماضي يعيشون بمصر.

أخذت شادن وشاهنده يتحدثان ويضحكان، وفجأة تذكرت شاهنده شيئاً فقالت لشادن وهى تضحك:

- قولي لي يا شادن ماذا فعلت بعصام

قالت لها شادن وهي تدعي عدم تذكره

- عصام من؟

قالت شاهنده:

- إبن عم حازم زوجي...

قالت شادن:

- لم أفعل له شيئاً ماذا قال لك عني:

ضحكت شاهنده قائلة:

- لقد تعلق بك... عندم عدت أنا وحازم من السفر جاء لزيارتنا ومعه هدية رائعة، وطوال الزيارة لم يكن له حديث إلا عنك فقد قص علي كيف شاهدك أول مرة ومشاهدته لك في فرحي ثم عدم ذهابك إلى المعرض الذي أعطاك له دعوة، وقد طلب مني رقم تليفونك لأنك رفضتي إعطاءه له...

قالت شادن بغضب:

- أوعي تكوني أعطيت له رقم التليفون...

قالت شاهنده:

- عندما قال لي انك رفضتي إعطاؤه له فقلت له أنني سوف أسألك اولاً إن كنت ترغبين في إعطاؤه له ام لا...

قالت شادن بسرعة:

- لا طبعاً ... لا أريده أن يعرف رقم تليفوني

سكتت شاهنده ثم قالت لصديقتها:

- أما زلت يا شادن تذكرين رؤوف...

قالت شادن لصديقتها بحزن:

- لا أريدك ان تحدثيني عن رؤوف من فضلك يا شاهنده، لا تذكري إسمه أمامي أبداً...

قالت شاهنده لصديقتها بأسف:

- أنا آسفة يا شادن... لكن لا بد أن تنسيه... إفعلي مثلي، أنت تعلمين جيداً أنني تزوجت حازم بعقلي... فهو شخص مناسب جداً وصدقيني أنا الآن أشعر بأنني أحبه جداً.

قالت شادن:

- ماذا تقصدين...

قالت شاهنده لصديقتها:

- أقصد أن تجربي الإرتباط بعقلك... فأنت جربتي الحب مرة ولم تكن تجربة ناجحة... جربي إذاً الإرتباط العقلي...

قالت شادن:

- بمن أرتبط... أنا لا أفهمك

تنهدت شاهنده وهي تقول:

- بل تفهميني جيداً... اقصد عصام

قالت شادن:

- ماله عصام...

ضحكت شاهنده وقالت:

- يا شادن عصام معجب بك جداً.... وقد صرح لي أنه كان يفكر في موضوع الزواج جدياً قبل أن يراك ولكنه لم يجد الإنسانة المناسبة....

وعندما تعرف عليك وجد بك كل الصفات التي يتمناها في شريكة حياته، ما رأيك...

قالت شادن وهى شاردة تفكر:

- لا أدري يا شاهنده هذا موضوع يحتاج إلى تفكير طويل

قالت شاهنده لصديقتها:

- فكري يا شادن ولكن ضعي في اعتبارك وأنت تفكرين أن عصام شاب ممتاز، فهو ناجح في عمله ومقتدر مادياً ومعجب بك، فلما لا تفكرين جدياً في الزواج...

بعد انتهاء المكالمة جلست شادن تفكر جدياً فيما قالته لها شاهنده... قالت لنفسها:

- ولما لا أفكر بالعقل والمنطق...

لا تنكر شادن أنها شعرت بالزهو عندما قالت لها صديقتها أن عصام قد تعلق بها ويريد أن يتزوجها... إذاً فهى مرغوبة... لقد كانت شادن في حاجة لهذا الإحساس، لقد دمر ما فعله رؤوف بها نفسيتها... أفقدها الثقة بنفسها... لذا فقد كانت في شدة الإحتياج لمن يشعرها بأنها مرغوبة... يكفيها هذا الشعور بأنها مرغوبة حتى وإن لم تتزوج من عصام...

كان قد مر شهر كامل منذ تلك المكالمة التليفونية التي كانت بين شاهنده وشادن حيث اخبرتها شاهنده بإعجاب عصام بها ورغبته في الزواج منها... جلست شادن بعد تلك المكالمة تفكر كثيراً حيث قررت أن تخرج من حالة السكون هذه التي تعيش بها إلى حالة من الحركة وأنه يجب ألا تترك حياتها هكذا للصدف فقط، بل يجب أن تكون إيجابية اكثر في اتخاذ

قراراتها التي يجب أن تكون مبنية على المنطق وليست على العاطفة فقط... وعلى ذلك مر هذا الشهر على شادن وهى في حركة مستمرة حيث أقدمت على الكثير من القرارات المؤجلة في حياتها فالتحقت بالعمل لدى والدها بمكتب المحاماة... كذلك وافقت على خطبتها من عصام... لكنها أصرت على أن تكون حفلة الخطبة بسيطة كان إصرارها هذا نابعاً من عدم إقتناعها الكامل بشخصية عصام ولكن رأي كل من والدها ووالدتها وصديقاتها وكل المحيطين بها كان به إجماع على أن عصام شخص مناسب جداً بالإضافة إلى تطفل الناس وتدخلهم في شؤونها وسؤالهم المستمر لها عن سبب عدم زواجها وهى فتاة جميلة ومثقفة ومن عائلة كبيرة... لذلك وافقت شادن على الإرتباط بعصام وهى غير مقتنعة بالكامل... كانت موافقتها عليه بها شبه تسلط على إرادتها بطرق غير مباشرة وعدم إقتناعها بعصام كان يأتي من رغبتها في الإبحار بداخله ومعرفة مكنونات شخصيته من الداخل وما يحتوي عليه ضميره... كان الجميع ينظر إلى عصام من الخارج فقط ومن هنا كانت رؤيتهم له بأنه شخص مناسب، فهو وسيم وناجح في عمله ومقتدر مادياً وأخلاقه الظاهرة ليس بها شبه، ولكن هذا لم يكن يكفى شادن على الإطلاق فهى لا ترغب في وسامته فقط ولا في ماله، ولكنها كانت تحلم بمن يشاركها أحلامها كانت تتمنى أن يكون عصام به بعض الحب للآخرين والرغبة في مساعدتهم فنجاح الإنسان لا يكون لنفسه فقط ومال الشخص لا يجب ان يتمتع به وحده ولكن يجب أن يمتع بها قدرا لو بسيط من المحتاجين معه وهذا ما لم تشعر به شادن بداخل عصام على الإطلاق فقد أحست منذ

خطبتها له أنه يتمتع بشخصية أنانية، فهو يحب نفسه جداً ويقدس المال بشكل بشع وتعجبت لذلك كيف يكون بتلك الأنانية وحب المال مجرداً وفي نفس الوقت يمتلك نفسية فنان يحب الفنون التشكيلية ويرسم بيديه المناظر الطبيعية وتعجبت شادن وقالت لنفسها:

- الفنان المتأمل يجب أن يشف ويرق عندما يتأمل في روعة ما خلق الله -سبحانه وتعالى- من مناظر طبيعية وطيور تبني أعشاها في منتهى الدقة والروعة وكأنهم دارسين لأعمال الفن والمعمار، كيف لشخص أن يجتمع به حب الأنانية والذاتية وحب المال بتلك الصورة ويجتمع به أيضاً حب الفنون التي تفرض عليه رقة المشاعر ثم قالت لنفسها وهى تتنهد:

- النفس البشرية... يالتركيبها المعقد... كأنها بئر لا نهاية له... تجتمع به كل المتناقضات – الخير والشر... حب الشهوات بكل أنواعها وحب التطهر من كل دنس... القوة المتناهية أمام من لا يهمنا أمرهم والضعف المتناهي أمام من نحبهم – هذا هو الإنسان بخيره وشره بقوته وضعفه بدنسه وطهره و لكن زيادة تلك المعايير أو نقصانها هي التي تصنع الإنسان الصالح أو الإنسان الطالح لذلك يجب أن أعرف أي الصفات تزيد وأيها تنقص بداخل عصام ثم يجب بعد ذلك أن أُقرر وضعي معه.

كانت شادن تريد أن تعرف مدى حب عصام لمساعدة الآخرين وإلى أي مدى يصل الخير بداخله ولذلك ذهبت إلى موعدها معه إلى الغداء في احد الفنادق الكبرى وبعد الغداء مباشرة قالت له برقة:

- عصام أنا النهاردة سوف أريك مكان رائع

قال عصام لها:

- أنا على استعداد أن أذهب معك في أي مكان

قالت له شادن وهى تضحك:

- إذاً سوف أعطيك العنوان...

أعطته شادن عنوان شارع ورقم فيلا، قال لها عصام وهما متجهين إلى هذا المكان:

- لم تقولي لي ما هذا العنوان أسوف نزور احد من أقاربكم؟

قالت له شادن:

- يعني... هذه مفاجأة

ثم سكتت وقالت له:

- أمعك نقود بعد هذا الغداء الفاخر..

ضحك وهو يقول لها:

- نعم لماذا...

قالت شادن:

- لقد دفعت أربعمائة جنيه في الغذاء أليس كذلك

ضحك عصام وهو يقول:

- لماذا هذا السؤال

قالت شادن:

- أنت على استعداد لدفع مائة جنيه أخرى

قال لها عصام:

- لو فسحة ظريفة ومكان لطيف سوف نجلس فيه طبعاً أدفع أكثر من ذلك...

عادت شادن لسؤاله وهى تبتسم:

- إذاً لو أعجبك المكان الذي نحن ذاهبون إليه تدفع مائة جنيه أخرى

قال لها عصام وهو يضحك:

- طبعاً وأدفع اكثر من ذلك لو كان هذا المكان لم أذهب إليه من قبل... ولكنك لم تقولي لي ما هذا المكان أهو فيلا تم افتتاح مطعم أو كافتيريا بها

قالت شادن ضاحكة:

- لا... قل شيء آخر

قال وهو يضحك:

- يبدو أنها فزورة... ولكن سوف أحلها أهو مكان لألعاب الفيديوجيم أم صالة بلياردو

ابتسمت شادن لاحتمالاته التي يمكن أن يدفع بها أكثر من مائة جنيه أخرى ثم قالت له:

- بالتأكيد هو مكان أروع من كل هذه الأماكن وسوف يكون مفاجأة لك فأنت بالتأكيد لم تذهب إلى هنا من قبل...

عندما وصل عصام وشادن إلى وجهتهم أوقف عصام سيارته أمام الفيلا التي أعطته شادن عنوانها وهو يقول بدهشة:

- ما هذا...

قالت له شادن بهدوء:

- كما ترى يا عصام... ملجأ للأطفال الأيتام هيا بنا

قال لها وهو لم يتحرك من مكانه:

- هيا بنا إلى أين

اندهشت شادن وأشارت نحو الملجأ وهى تقول:

- سوف ندخل... ألم تعدني أنك سوف تدفع أكثر من مائة جنيه إذا كان المكان لم تذهب إليه من قبل... بالطبع أنت لم تأتي إلى هنا من قبل...

قال لها عصام باندهاش:

- ولماذا آتي إلى مكان كهذا.. بالطبع لم آتي إلى هنا من قبل ولم أذهب إلى أي ملجأ للأطفال من قبل مالي أنا بتلك الملاجئ

قالت شادن:

- إذاً هيا بنا ندخل وتدفع ما وعدتني به من المال كتبرع لتلك الأطفال المساكين... كما أنني معي مبلغ أيضاً ادخرته من مصروف يدي سوف ادفعه كتبرع

قال لها عصام بعصبية وهو يدير محرك السيارة:

- يبدو أنك قد جننتي... أتأتين بي إلى ملجأ للأطفال وتقولين أنه مكان رائع، ثم تودين كذلك أن أرمي بنقودي في الأرض ماذا سوف يفيدني من تلك الأطفال المتشردين مالي أنا ومالهم...

نظرت إليه شادن بدهشة وهى لا تتصور قسوة قلبه:

- أتعتبر تبرعك لأطفال أيتام رمي بالنقود في الأرض يالللعجب ترفض التبرع بمبلغ تافه لأطفال مساكين بينما تود أن تدفع بأي مبلغ من النقود في أشياء تافهة

قال لها عصام:

- تمتعي بوقتي ليس أشياء تافهة

قالت شادن بعصبية:

- ألم تكن على استعداد لدفع أي مبلغ لو كان هذا المكان كافتيريا أو صالة بلياردو

قال لها عصام بصبر نافذ:

- نعم أدفع نقودي في أي شيء آخذ منه مقابل

قالت له شادن وقد اتسعت عيناها دهشة لطريقة تفكيره:

- وما هو المقابل في جلوسك بكافيتريا أو صالة بلياردو

قال لها عصام بثقة:

- تمتعي بالوقت... ولكن ما الذي سوف آخذه من هؤلاء المتشردين

سكتت شادن وأدارت وجهها نحو نافذة السيارة حتى لا يرى الدموع التي بعينيها... ما هذا الرجل... قلبه من حجر لم يكلف نفسه النزول من السيارة ومشاهدة هؤلاء الأطفال المساكين... شعرت شادن بقلبها يكاد أن ينفطر عندما تذكرت زيارتها لهذا الملجأ لأول مرة منذ أسبوعين... لم تستطع أن تمنع دموع عينيها من النزول عند رؤية الفرحة العارمة المرسومة على تلك الوجوه الصغيرة البريئة فرحة بالحلوى البسيطة التي أحضرتها معها وبعض اللعب الصغيرة...

قالت شادن لنفسها وهى تجلس بجوار عصام في السيارة التي تسير بسرعة:

- ليس هناك فائدة من المناقشة مع رجل قلبه من الصخر...

ثم عادت وقالت لنفسها:

- لا... لا يجب أن أظلم الصخور، فهى في بعض الأحيان تكون أشد حناناً من قلوب البشر القاسية... يا إلهي لقد تشقق قلب الصخور حناناً على

النبي العظيم "يحيى بن زكريا" وهو يمضي إلى الشهادة عندما ارتفعت الأيدي الآثمة بالسيوف بأمر من ملكهم الطاغية هيرودوس وهبطت على العنق النبيل للنبي الكريم الذي أحبه الناس وأحبته الطيور والزهور والجبال لحنانه، يا إلهي... يتشقق قلب الصخور حناناً بينما قلوب البشر لا تشعر... يا إلهي لماذا نعامل الأيتام بتلك القسوة وهم ضعفاء لقد أوصانا بهم الله سبحانه وتعالى وتوعد بعذابه الشديد لمن يقسو عليهم... لقد كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مثالاً للرحمة و نبعاً متدفقاً للحنان... لماذا تقسو قلوب البشر لهذه الدرجة...

طوال الطريق لم تكلم شادن عصام كلمة واحدة وهو بدوره لم ينبس بكلمة... عندما وصلا إلى منزلها فتحت شادن باب السيارة وهمت بالخروج عندما أمسك عصام بيدها وقال لها:

- شادن لا يجب أن نتخاصم لمثل تلك الأمور التافهة...

نظرت إليه شادن وقالت:

- أترى أنها أمور تافهة...

قال لها وهو يهز رأسه بالإيجاب:

- بالطبع أمور تافهة...

ابتسمت شادن بسخرية وقالت:

- معك حق... مع السلامة يا عصام...

ثم خرجت وأغلقت خلفها باب السيارة...

* * * * * * * *

الفصل العاشر

مر يومان كانت شادن تفكر ليلاً نهاراً في موضوعها مع عصام فقد شعرت بنفور شديد تجاهه بعد موقفه الاخير... أحست بأنه إنسان مادي أناني لم يحمل بقلبه شيئاً من الحنان والحب للآخرين ومثل هذا النوع ليس له أمان فهو لا يعشق إلا ذاته فقط... شعرت شادن بخوف منه فهو ليس الرجل الذي يمكن أن تكمل معه مشوار الحياة بحلوها ومرها... ليس مثل هذا من يعطيها الأمان والحنان، كانت شادن حائرة لا تعرف بأي بر ترسي... أتكمل المشوار مع عصام أم تتركه، تخاف أن تمضي معه فتظلم نفسها وتخاف أن تتركه وتكون قد ظلمته أو تسرعت، كانت مشكلة شادن أنها ليست مثل معظم الناس تحب نفسها وحياتها و سعادتها فقط لكنها كانت من النوع المعطاء الذي يحب مساعدة الضعفاء وإيجاد مكان دائماً لهم في حياتها ومثل هذا النوع يجب ان يرتبط بشخص مثله في الطباع وليس شخص أناني محب لذاته...

خلال هذان اليومان حاول عصام الاتصال بشادن تليفونياً ولكنها كانت دائماً تعتذر له إما بأن لبنى صديقتها عندها حتى يغلق التليفون سريعاً أو لا تطول مكالمته أو تعتذر له بأنها متعبة قليلاً وتريد أن تنام وأحياناً كانت تشير لوالدتها فتقول له بأنها غير موجودة... احست امها أن هناك شيء بينها وبين عصام..

فقالت لها:

- ما بك يا شادن... أنت زعلانة من خطيبك...

قالت لها شادن:

- ليس بالضبط..

فسألتها أمها بقلق:

- إذاً ماذا هناك...

سكتت شادن ولم تعرف بماذا تجيب على أمها، فهى لا تدري إن كانت أمها سوف تفهمها أم لا...

قالت أمها بحنان:

- احكي لي يا حبيبتي أنا أمك...

تشجعت شادن وقصت على أمها ما حدث ورأيها بعصام وعدم شعورها بالأمان معه وبأنها أصبحت لا تثق إن كان هو الشخص المناسب لها أم لا... سكتت أمها قليلاً وهى تفكر بكلام إبنتها ولا تدري ماذا تقول لها ثم قالت بعد فترة تفكير:

- لا تتسرعي يا شادن في حكمك على خطيبك... مثل هذا الموقف لا يدل على شخصيته بوضوح...

قالت شادن لأمها:

- كيف يا ماما عصام لا يحب فعل الخير ليس بقلبه أي عطف...

قالت لها أمها بخبرة السنين:

- لا تحكمي عليه من موقف واحد... اختبريه مرة أخرى... ولكن دون أن يشعر أنك تضعيه في إمتحان ... حتى لا يتصرف بالطريقة التي ترضيكي... فلن تعرفي شخصيته الحقيقية عندئذٍ...

قالت لها شادن:

- لكنه تصرف أمام الملجأ بطريقة كشفت عن شخصيته

قالت لها أمها بحكمة:

- هذا بفعل المفاجأة... لقد فوجئ بأن هذا المكان هو ملجأ بينما كان يمني نفس بكافيتريا أو ما شابه ذلك وعندما فوجئ بالملجأ تصرف على طبيعته فلو كان يعرف مسبقاً بأنك تحبين الأطفال الأيتام لاستغنى عن مبلغ من المال في سبيل إرضائك وليس على سبيل طبيعته الخيرة... ولكن المفاجأة جعلته يتصرف بشكل طبيعي يكشف عن شخصيته الحقيقية... أنا معك في هذه النقطة بأن عصام لا يحب فعل الخير لأنه يا شادن لو كان خيراً بطبعه لفرح جداً لأنك ذهبت به لمكان مثل هذا يعطيه الفرصة لعمل الخير... لكن لا أريدك أن تتسرعي في حكمك عليه...

اقتنعت شادن بأنها يجب أن تعطي عصام فرصة أخرى قبل أن تصل إلى قرار نهائي بشأن ارتباطهما

اتصل عصام بشادن تليفونياً في حوالي الساعة السادسة فردت عليه بمرح...

قال لها عصام:

- اما زلت زعلانة مني...

قالت له شادن بمرح:

- لا أبداً وأنت مازلت زعلان مني...

قال لها عصام بشيء من الجدية:

- يا حبيبتي أنا لا أريدك أن تنشغلي بمثل هؤلاء المشردين فأمامنا ما هو أهم شعرت شادن بغصة في قلبها لكنها تمالكت نفسها وقالت له في هدوء:
- وما هي تلك الأشياء المهمة التي أمامنا

قال لها:

- ألا تعرفين ما هي يا شادن... الشقة التي يجب علينا أن نجهزها والديكورات التي يجب أن تستكمل والمفروشات التي يجب علينا انتقائها... أليس كل هذا أهم من هؤلاء المتشردين

قالت له شادن بحدة:

- ما هذا اللفظ الذي تستخدمه لا يصح أن تنعتهم بلفظ متشردين

قال عصام ببرود:

- أوليسوا متشردين

قالت شادن في محاولة اخيرة لعل الخير يدخل قلبه:

- يا عصام أنا أعلم جيداً أن شقتنا وديكوراتنا ومفروشاتنا بالطبع شيء مهم جداً كذلك أنا لا أنكر أنه يجب أن نتمتع بوقتنا فلا مانع من الذهاب إلى الفنادق والكافيتريات لكن يجب أن يكون هناك مكان في قلوبنا لحب الخير ونصيب في مالنا ولو صغير لمساعدة المحتاجين ومد يد العون إليهم هذا لا ينقص من مالنا شيء بل على العكس سيشعرنا بالسعادة ويطهر أموالنا....

فقال لها عصام ببرود:

- ألن تغيري هذا الموضوع... دعينا نتحدث في شيء لطيف...

قال له شادن وقد شعرت بأن الكلام معه لا جدوى منه:

- إذاً افتح أنت موضوع لطيف ودعنا نتحدث فيه...

بعد انتهاء المكالمة شعرت شادن بأن هذا الشخص لا يصلح لها أبداً... فهما متنافران الطباع... لا يمكن ان ترتبط إلى الأبد بمثل هذا الشخص نظرت شادن إلى الدبلة الذهبية الت تلبسها بيدها اليمنى وشعرت أن تلك الدبلة تكاد تخنقها وأن هذا الإسم المنقوش عليها يجرح جلدها مدت يدها اليسرى وخلعت تلك الدبلة اللعينة وألقت بها على الكمودينو وشعرت أنها في حاجة إلى بعض الهواء الطلق... فتحت شرفتها ووقفت تستنشق بعض الهواء أحسست بالراحة وهى تتحسس موضع الدبلة في إصبعها أحست شادن بحريتها مرة أخرى بعد خلعها تلك الدبلة كأنها كانت قيد حول معصمها وقد تخلصت منه أو كأنها كانت حبيسة في مكان مغلق ثم أطلق سراحها مرة اخرى استنشقت شادن الهواء وملئت به رئتيها وابتسمت فرحة بعودة حريتها إليها مرة أخرى وقالت لنفسها:

- أَعْطِنِي حُرِّيَتِي أَطْلِقْ يَدَيَّ

إنني أعطيت ما استبقيت شيئاً

- آه من قيدك أدمى معصمي

لما أبقيه وما أبقى علي

- ما احتفاظ بعهود لم تصونها

وإلام الأسر والدنيا لدي

ضحكت شادن ضحكة رنانة معلنة عودة شخصيتها إليها اكثر قوة وصلابة... الآن أصبحت قادرة على اتخاذ قرارتها بوضوح وقوة ... لن تكون هشة بعد اليوم... ولن تترك احزانها تتحكم بها ولن تسمح بدخول شخص حياتها لمجرد تضميد جراحها... ولن ترتبط إلا بشخص يشاركها أحلامها ويكون وجوده بجانبها يزيدها قوة...

نظرت شادن أمامها تجاه الفيلا التي طالما كانت تهرب من النظر إليها, ظلت تنظر إليها طويلاً ثم ابتسمت وقالت لنفسها وهى تشير بإصبعها تجاه الفيلا بعناد وإصرار:

- أنت ماض يا رؤوف... أنت ماض

ثم وقفت واستدارت حتى أصبح ظهرها للفيلا وقالت تنشد أبيات ناجي وهى تسير ببطيء ودلال لتدخل حجرتها:

- حان الشفاء فودع الألما

واستقبل الأيام مبتسما

- فيض من النسيان يغمرني

إني لأحمد سيله العرم

* * * * * * * *

الفصل الحادي عشر

كانت ساعة الحائط الكبيرة تدق دقات منتظمة معلنة أن الساعة أصبحت الثامنة صباحاً... استيقظت شادن على دقاتها وفتحت عينيها ببطء وهى تعد في نفسها عدد دقات الساعة...

كان هذا اليوم يوم غير عادي بحياة شادن... فهى اليوم سوف تحتفل بعيد ميلادها... سوف تكمل الثلاثين من عمرها...

نهضت شادن من فراشها ببطء واخذت تسير بدلال نحو الشرفة كانت تسير حافية القدمين... لا تدري لماذا كانت لديها رغبة اليوم في أن تسير حافية القدمين... فتحت الشرفة وخرجت تستقبل يومها الجديد استنشقت شادن رائحة الصباح الرائعة المفعمة بالحياة مزيج رائع من رحيق الزهور المبلل بالندى كان ينشر عطراً يملأ الفضاء برائحة الجنة...

كان تغريد الطيور على الأشجار يصنع أجمل موسيقى يمكن أن تسمعها أذن الإنسان... قال شادن لنفسها:

- يا سبحان الله تغريد تلك الطيور يصنع أجمل المؤلفات الموسيقية التي لا يمكن أن يأتي بها أعظم موسيقار... يا إلهي تلك الطيور كأنها اوركسترا عالمي...

نظرت شادن صوب الفيلا التي أمامها وابتسمت وهى تقول لنفسها:

- ياللزمن... يالسرعته إنه يمر كالبرق... من يصدق أنه قد مر خمس سنوات منذ سفرك يا رؤوف... يا ترى في أي بقعة من الأرض أنت اليوم...

أخذت شادن تتأمل الفيلا أمامهم وحديقتها التي أصبحت جرداء ومهجورة منذ وفاة عم أمين بواب الفيلا العجوز، قالت شادن لنفسها:

- رحمك الله يا عم أمين...

كان عم أمين قد توفي منذ ما يقرب من عامين، وكان أخاها مراد هو الذي اكتشف وفاته، فقد كان يذهب إليه من وقت لآخر ليطمئن عليه فهو رجل عجوز ووحيد ومريض حتى كان يوم وفاته عندما ذهب إليه مراد ووجده نائماً في فراشه لا يرد عليه ولا يتحرك فاكتشف وفاته... والعجوز المسكين لم يكن لديه أقارب فقام الجيران مشتركين مع بعضهم بعمل اللازم وتطوع الأستاذ شكري والد شادن بدفن عم أمين في مقبرة الأسرة.
ثم قاموا بإغلاق الفيلا ووضع قفل كبير عليها... ومنذ هذا اليوم والفيلا مغلقة ومهجورة تماماً لم يأتي إليها أحد وكأن ليس لها ملاك... ولا يعلم أحد بعنوان رؤوف ولا بأي بلد يقيم حتى يبلغوه بما حدث...
أفاقت شادن من تفكيرها وقالت لنفسها:

- يا إلهي لقد تأخرت كثيراً فهذا اليوم مشحون...

دخلت شادن سريعاً وأخذت دشاً دافئاً وخرجت اكثر نشاطاً ارتدت ثيابها بسرعة ووقفت تتأمل نفسها في المرآة... كانت ترتدي تايير أنيق لونه أحمر دافئ وتحته بلوزة حريرية بيضاء...
نزلت شادن من غرفتها لتناول الإفطار فوجدت والدها ووالدتها ينتظرانها قالت لها أمها وهى تقبلها:

- كل عام وأنت بخير يا حبيبتي... لقد أعددت لك اليوم حفل رائع...

ضحكت شادن وهى تقول لأمها:

- يا ماما لم يكن هناك داعي لهذا الحفل... ألم أقل لك أنه يكفي إحتفالاً بسيطاً

قالت لها أمها:

- هذه فرصة يا شادن لترين أصدقائك وتجلسين معهم بعض الوقت وكذلك أخوك مراد فمنذ زواجه وأنت لا ترينه كثيراً فعندما يأتي لزيارتنا فإما تكوني نائمة أو غير موجودة

قالت لها شادن ضاحكة:

- كيف ذلك يا ماما... لقد جلست معه الأسبوع الماضي خمس دقائق كاملة...

ضحكت أمها وأبوها على ما تقول ثم أضاف أبوها وهو يقول:

- شادن أنا سوف أسبقك إلى المكتب فأنا أعلم أن لديك اليوم مشواران هامان...

قالت شادن وهى تنهي إفطارها سريعاً:

- نعم يا بابا... ولكن لن أتأخر على المكتب...

إنصرف والدها ثم انصرفت هي بعده بقليل.. استقلت شادن سيارتها متجهة إلى مشوراها الأول نحو ملجا الأطفال الأيتام لزيارة محمود الطفل الصغير ذو العامين التي رأته شادن لأول مرة منذ عام ونصف وهو ما زال رضيعاً وتعاطفت كثيراً مع حكايته عندما عرفتها من إدارة الملجأ... فهو مكسين ليس لديه احد منذ انهيار المنزل القديم الذي كان يعيش فيه هو وعائلته حيث لقي جميع المقيمين بالمنزل حتفهم بما فيهم عائلة محمود ولم

ينجو احد من هذه الكارثة سوى محمود الذي نجا بمعجزة إلهية... منذ رأته شادن وقت تعلقت به كثيراً وقد صحبت والدها في اليوم التالي بعد ان قصت عليه حكاية هذا الرضيع المسكين وألحت على والدها حتى وافق وذهب معها إلى الملجأ حيث قام بكفالة هذا اليتيم ومنذ هذا اليوم وشادن تذهب إليه كل يومين لزيارته وتذهب كل شهر لتدفع المبلغ الذي حدده الملجأ لكفالة محمود...

دخلت شادن الملجأ ووجدت الاطفال يلعبون بالحديقة... وبمجرد أن رآها محمود حتى تهلل وجري مسرعاً نحوها وهو فاتح ذراعيه... تلقته شادن بين ذراعيها وقبلته وأعطته الحلوى التي احضرتها له... جلست معه بعض الوقت ثم توجهت إلى مكتب الإدارة وأعطتهم المبلغ الذي تدفعه كل شهر وبعض الملابس الجديدة التي أحضرتها لمحمود ثم انصرفت...

كان مشوارها الثاني لزيارة عائلة الأستاذ إبراهيم الدمنهورى كم تعاطفت مع هذا الموظف المسكين الذي أحاطت به ظروفه الصعبة فوسوس له الشيطان فاختلس مبلغ من المال في عهدته حيث يعمل صراف بأحد الشركات... كان الرجل المسكين في حاجة إلى مبلغ من المال لإجراء جراحة عاجلة لإبنه الصغير الذي أصيب إصابة بالغة بإحدى عينيه أثناء لعبه في الشارع من قبل طفل آخر ألقاه بطوبة في عينيه فأصابته بنزيف شديد نقلته أمه على الفور إلى إحدى المستشفيات واتصلت بوالده في الشركة التي يعمل بها... جن الرجل ونزل على الفور ليرى إبنه كان الطفل في حاجة إلى جراحة لم يدرى الرجل ماذا يفعل اقترض جزءاً من المبلغ ولم يستطع تدبير الباقي عندما سول له الشيطان وضعفت نفسه

فاختلس المبلغ المتبقى من عهدته... أعطى المبلغ لزوجته وقال لها أنه قد إقترضه بالكامل... ثم اخذ ابنه الأكبر وهو طالب بإحدى الكليات وقص عليه ما فعله و أنه قد اختلس من عهدته و قال لابنه بأنه سوف يذهب الي النيابة العامة ليعترف بما فعله.. كان هذا أكبر دليل على أن هذا الموظف المسكين شريف ولكن ظروفه صعبة بعض الشيء لذلك تعاطفت شادن بشدة مع هذا الرجل الذي عرفت بحكايته عندما جاء إبنه الأكبر الطالب الجامعي إلى مكتب والدها ليوكله ليترافع عن والده... حاول والدها مساعدة إبراهيم الدمنهوري والحصول على حكم مخفف له بقدر الإمكان لأن هذا الرجل كان معترفاً على نفسه وموقفه سيء... لم يتقاضى والد شادن عن تلك القضية أتعاب واعتبرها عمل من أعمال الخير وأكثر من ذلك عندما وجد شادن متعاطفة مع هذا الرجل واسرته شجعها على زيارة تلك الأسرة المنكوبة وكان يرسل معها كل أول شهر مبلغاً من المال ليعينهم على الحياة... كانت زوجة الاستاذ إبراهيم الدمنهوري ترفض أخذ المبلغ في أول الأمر فقد كان كبرياؤها يمنعها ولكن تودد شادن لها وزيارتها المستمرة لهم جعلتها تحبها ولا تشعر بالحرج منها فكانت تأخذ منها المبلغ بعد ذلك بصدر رحب...

عندما انتهت شادن من هذين المشوارين كانت تشعر بسعادة بالغة كعادتها عندما يوفقها الله لعمل الخير قالت شادن لنفسها:

- أنا اليوم في قمة السعادة لذلك سوف أكافئ نفسي بشراء فستان جديد لحفلة عيد ميلادي اليوم....

ثم ضحكت وهى في طريقها إلى المكتب وقالت لنفسها:

- سوف أورط بابا اليوم في مبلغ من النقود لشراء فستان جديد...

أوقفت شادن سيارتها وصعدت مسرعة إلى المكتب ودخلت إلى والدها فوجدته يتحدث بالتليفون... عندما انتهى من مكالمته التفت إليها مبتسماً وقال:

- أنهيتِ مشواريك على خير...

ضحكت شادن هي تقول:

- نعم والحمد لله... ولكن هناك عمل خيري يجب أن تقوم به من أجلي

ضحك والدها وهو يقول:

- خير إن شاء الله

قالت له شادن ضاحكة:

- بكل تأكيد هو خير... ثم مدت له يدها قائلة:
- أريد ثلاثمائة جنية لشراء فستان جديد لحفل عيد ميلادي

ضحك والدها وهو يقول:

- ألم تقولي لوالدتك أنك لا تريدين فستان جديد لعيد ميلادك وقد كنت معترضة على الحفل...

قالت له شادن وهى تقبله:

- لقد غيرت رأيي... أين النقود...

ضحك والدها وأعطاها المبلغ الذي تريده... قالت له شادن وهى تفتح باب المكتب وتهم بالخروج:

- هناك بعض الأعمال الصغيرة سوف أنهيها... أتريد اليوم مني شيء لأني أريد الإنصراف مبكراً لشراء الفستان...

قال لها والدها:

- لا اليوم أنت في أجازة

خرجت شادن وهى تقول:

- حسناً أنا اليوم في أجازة

* * * * * * * * *

الفصل الثاني عشر

كانت الساعة السادسة مساءًا عندما كانت شادن تستعد لارتداء ملابسها قبل حضور الضيوف... انتهت شادن من فنجان الشاي الذي كانت تشربه ثم قامت لترتدي ملابسها وقد أعطاها هذا الفنجان جرعة من النشاط اخرجت من دولابها الفستان الجديد الذي أحضرته في الصباح...

وبعد مرور ساعة كاملة كانت شادن قد استعدت تماماً لاستقبال ضيوفها وهى بكامل زينتها... قبل نزولها من غرفتها وقفت تتأمل نفسها في المرآة ... كانت ترتدي فستان أبيض رائع مصنوع من قماش الدانتيلا... لا تدري شادن لماذا وقعت في غرام هذا الفستان منذ أن رأته في الصباح معلق بفاترينة إحدى المحلات... رفعت شادن شعرها إلى الأعلى وقد زينته بتاج من الفل الأبيض وأسدلت بعض الخصلات على جبينها وعلى رقبتها من الخلف... وارتدت في أذنيها قرطاً طويلا حباته من اللؤلؤ الأبيض الكبير... كانت ترتدي حول رقبتها كوليه من اللؤلؤ الأبيض... ارتدت حذائها ذو اللون الأبيض كذلك، ثم اتجهت ناحية دولابها وفتحته وأخرجت منه الأسورة التي قد أهداها رؤوف لها وارتدتها وهى تبتسم لم تعد تشعر بما كانت تشعر به في الماضي قالت شادن لنفسها وهى تنظر إلى معصمها:

- لقد شفيت منك تماماً يا رؤوف... لم يعد يذكرني بك سوى هذه الأسورة الماسية...

خرجت شادن من غرفتها متجهة إلى أسفل، وجدت أمها في بهو الفيلا تستقبل بعض الضيوف... كانت شادن تبدو كالعروس في يوم زفافها في

ثوبها الأبيض هذا... ابتسمت شادن عندما رأت أخيها مراد آتياً نحوها وهو يحمل طفله الصغير عمرو وبجواره زوجته دينا... قبلت دينا شادن وهى تهمس في أذنها:

- أنت اليوم رائعة الجمال يا شادن كأنك عروس يوم زفافها

ضحكت شادن وهى تقول:

- وأين العريس يا ترى

ابتسم مراد وهو يقول لشادن:

- ألم آتي لك الأسبوع الماضي بعريس رائع

ضحكت شادن وهى تقول:

- يا إلهي من أين أتيت بهذا العريس يا مراد إنه ثقيل الظل بشكل غريب...

التفت مراد ناحية زوجته دينا وهو يقول:

- تصوري إنها تقول عن كمال أنه ثقيل الظل

ضحكت دينا وهى تقول لزوجها:

- والله شادن معها حق صديقك كمال هذا لا يطاق...

كانت شادن قد لمحت صديقتها لبنى وهى تقف عند الباب تسلم على أمها وتتحدث معها فتوجهت إليها مبتسمة وهى تقول:

- لبنى... متى حضرت

قالت لبنى لصديقتها وهى تقبلها:

- لقد حضرت حالاً... ألم تأتي شاهنده بعد...

ضحكت شادن وهى تقول:

- يا ليتنا تذكرنا مليون جنيه...

التفتت لبنى خلفها فوجدت شاهنده تقف ضاحكة عند الباب وهى تقول:

- يبدو أنكما تتحدثان عني...

ضحكت لبنى وهى تغمز بعينيها إلى شادن:

- حقاً يا ليتنا تذكرنا مليون جنيه

دخل الجميع وهم يتضاحكون... قالت شاهنده لشادن:

- أنت اليوم رائعة يا شادن كأنك عروس...

ضحكت شادن وهى تقول:

- ما بال الجميع اليوم يروننني كالعروس...

نظرت لبنى لصديقتها شادن بإعجاب وهى تقول:

- اللون الأبيض يا شادن أنت فيه كالعروس... حقاً متى سترتدين هذا الثوب...

قالت شادن وهى تدعي عدم الفهم:

- أي ثوب تقصدين...

قالت لبنى بإصرار وهى تبتسم:

- ثوب الزفاف...

ضحكت شادن وهى تقول:

- عندما أجد من يستحق أن ألبس له ثوب الزفاف...

قالت شاهنده وهى تضحك:

- يالك من مغرورة... سوف تظلين تبحثين عن ذلك الرجل الوهمي...

قالت شادن بثقة:

- سوف أجده صدقيني

ثم فجأة تذكرت شادن شيئاً جعلها تضحك وهى تقول لشاهنده:

- كيف حال عصام...

ضحكت لبنى على ضحك شادن... وهزت شاهنده رأسها وهى تقول:

- أهذا ما يضحكك كل هذا الضحك...

قالت شادن وهى ما تزال تضحك:

- حقاً كيف حاله... لقد قلت لي مرة منذ اكثر من عام أنه قد تزوج...

قالت شاهنده لشادن:

- صدقيني يا شادن لقد أحبك عصام بحق...

هزت شادن رأسها علامة النفي وهى تقول:

- لا يا شاهنده عصام لم يحبني وليس لديه القدرة على حب أحد سوى نفسه..

فقالت شاهنده لشادن بجدية:

- أنت مخطئة يا شادن... لقد تعب كثيراً عند إصرارك على فسخ الخطبة وقد جلس بعدها أكثر من ثلاثة أعوام لا يفكر بالزواج...

قالت لها شادن بثقة:

- بل أنت المخطئة يا شاهنده... انت لم تفهمي عصام جيداً قدر فهمي انا له... إن عصام من النوع الأناني المحب لذاته ولقد تعب عند إصراراي على فسخ الخطبة لأنه قد شعر بجرح في كبريائه ليس أكثر من ذلك... صدقيني إن عصام لا يعرف معنى الحب الحقيقي... فلو أن الحب الحقيقي دخل قلبه لكان مع هذا الشعور بالحب قد أصبح يحب الناس جميعاً.

قالت شاهنده لشادن:

- لكنه كان يحبك يا شادن...

قالت شادن:

- نعم أنا لا أنكر أنه ربما كان يحبني... لكنه يحبني لامتاع نفسه – حب أناني – ....

قالت شاهنده:

- لا أفهم ماذا تقصدين...

قالت شادن لصديقتها:

- الحب الحقيقي يا شاهنده هو الحب الأشمل... الحب الأعم... الذي يحتوي بمفهومه كل شيء... الإنسان عندما يدخل بقلبه الحب الحقيقي بمفهومه الشامل فهو يشعر عندئذ بأنه يحب كل الكائنات... يحب الطيور والأزهار ويحب الناس جميعاً يتألم بعمق عند شعور غيره بالألم... ويشعر بالضيق الشديد عند وقوع غيره بمأزق...

عندما نحب الخير بكل صوره... عندما نشعر بقدرة الخالق سبحانه وتعالى بكل شيء حولنا... وعندما نعرف كيف نتأمل حولنا عندما نخرج قليلاً من سجن أنفسنا وملذاتنا الذاتية... سوف نشعر عندئذ بالحب الحقيقي...

هزت شاهنده رأسها وقالت لشادن مندهشة:

- لن تتغيري أبداً سوف تظلين تفلسفين الأمور....

قالت شادن بهدوء:

- يا عزيزتي هذه ليست فلسفة هذه معرفة بالأشياء على حقيقتها سوف أعطيكي مثلاً بسيطاً... عصام مثلاً يحبني بطريقته الانانية لأنني أثير بداخله مشاعر الرجل فهو ينجذب ناحيتي من تلك النقطة فقط... وبهذا يعتقد أن هذا هو الحب لأنه مفهومه للأشياء مفهوم ضيق... لأنه يعتقد أن كل شيء يجب أن يكون له مقابل بما في ذلك الحب... بينما هو لا يعرف الأمور على حقيقتها... لا يعرف أن الحب الحقيقي لا يجب أن يكون له مقابل مادي بل على العكس... يمكن أن آخذ مقابل معنوي عظيم يتمثل في شعوري بالسعادة الداخلية النابعة من عطائي دون انتظار للمقابل...

تدخلت لبنى في الحديث قائلة:

- وأين يا شادن من يعطي دون انتظار مقابل...

تنهدت شادن هى تقول:

- لا أدري يا لبنى يبدو أنني أبحث عن عملة نادرة..

دخلت شاهنده الحمام... وقامت لبنى لتطمئن على زوجها الذي لم يستطع أن يأتي معها لإصابته بنزله برد فدخلت غرفة المكتب لتحدثه بالتليفون... جلوس شادن وحدها منتظرة عودة صديقتيها أعطى لها الفرصة لتتأمل من حولها جلست تتابع بنظراتها أطفال لبنى وشاهنده وهما يمرحان وقالت لنفسها:

- يا إلهي يالمرور الزمن دون أن نشعر...أحقاً اليوم يا شادن ستكملين الثلاثين... يا ترى أنا على حق أم من حولي... لوكنت أفكر مثل كل الناس لكنت قد تزوجت من زمن وكان لدي أطفال ولكن يبدو أنني احلم برجل ليس له وجود في ذلك العالم المادي...

كانت شادن تتأمل أطفال صديقاتها وهى تبتسم... كانت لبنى قد أنجبت طفلاً اخر اسمته كريم أما نهى إبنتها فقد كبرت وأصبحت في السادسة من عمرها... أما شاهنده فقد أنجبت ولدين علاء وهو في الثالثة من عمره ومصطفى عمره عام... عادت شاهنده وجلست بجوار صديقتها وقالت لها وهى تلمح نظراتها المفعمة بالحنان تجاه الأطفال:

- تعشقين الأطفال يا شادن وترفضين الزواج من كل من يتقدم لك... إلى متى هذا الرفض... ألا تتشوقين لإنجاب طفل...

تنهدت شادن وقالت بحرارة:

- أتشوق بشدة لإنجاب طفل يا شاهنده... ولكن لن أنجبه إلا من رجل أحبه وأقتنع به تماماً ووأنا أعرف نفسي جيداً وأعرف أنني لن أحب وأقتنع إلا برجل يكون الخير بداخله نبع فياض...

انتهت الحفلة وصعدت شادن إلى غرفتها وقد أحست بأنها في حاجة لسماع بعض الموسيقى الهادئة وفي حاجة لدش دافئ يريح أعصابها... خرجت شادن من الحمام وهى تشعر بأن هذا الدش الدافئ قد دغدغ مشاعرها تماماً... كانت تشعر باسترخاء رائع... أطفأت شادن ضوء غرفتها العالي وأضاءت الأباجورة الصغيرة الموضوعة بجوار فراشها... وأدارت شريط به موسيقى هادئة... أخذت تستمع إلى الموسيقى وهى تشعر كأنها تسبح في الفضاء كانت الموسيقى تصنع لها عالم مخملي الملمس... قالت شادن لنفسها بصوت حالم والنوم يداعب جفونها:

- يالروعة الموسيقى... كأنها تسكب في دمي قطرات من العطر...

ثم مدت يدها ببطء وهى تغالب النوم فأطفأت جهاز التسجيل والأباجورة وسرعان ما استسلمت لسلطان النوم...

* * * * * * * * * *

الفصل الثالث عشر

كان اول شهر أغسطس عندما سافرت شادن مع والدها ووالدتها إلى منطقة كانت شادن تعتبرها من أجمل بقاع الأرض وهى منطقة "سيدي عبد الرحمن" بالساحل الشمالي بالإسكندرية... اعتادت شادن وعائلتها قضاء أسبوعين من شهر أغسطس في فندق "سيدي عبد الرحمن" حيث المياة الزرقاء الصافية والبحر الهادئ في تلك المنطقة خلاف البحر في الساحل الشمالي حيث يتصف بالهياج الشديد أما منطقة سيدي عبد الرحمن فهي هادئة المياة نظرا لكونها خليج... كانت شادن وعائلتها في الماضي يقضون الصيف في شقتهم في منطقة المعمورة بالإسكندرية حيث كان الاستاذ شكري يسافر مع عائلته زوجته وإبنته شادن وإبنه مراد فيقضى معهم أسبوع ثم يتركهم بشقتهم بالمعمورة ثم يعود هو إلى القاهرة لعمله وكان يذهب إليهم في نهاية الأسبوع لقضاء الخميس والجمعة معهم ثم يعود مرة أخرى وهكذا حتى ينقضي الصيف بأكمله ولكنهم منذ عدة سنوات ونظراً لازدحام الإسكندرية في شهور الصيف بشكل مفزع فقد كانوا يؤجرون شقتهم بالمعمورة في شهور الصيف واعتادوا أن يقضوا أسبوعين فقط في منطقة سيدي عبد الرحمن حيث الهدوء الرائع والطبيعة البكر الخلابة بعيداً عن الضوضاء والازدحام المفزع...

عندما وصل الأستاذ شكري وزوجته وإبنته إلى الفندق كانوا في غاية الإرهاق ونظراً لطول الطريق كانت شادن ووالدها يتناوبان القيادة... أما مراد اخوها فقد سافر هو وزوجته وإبنه الصغير عمر مع عائلة زوجته إلى العريش...

بعد تناول شادن ووالديها لطعام الغداء في مطعم الفندق صعدوا جميعاً الى غرفهم كان الأستاذ شكري وزوجته ينزلان في غرفة أما شادن فكانت تنزل في الغرفة الملاصقة لهم . .. كان الجميع في أشد الحاجة إلى النوم فقد كان الطريق طويل ومرهق... كانت الساعة السابعة مساءً عندما استيقظت شادن من نومها واخذت دشاً وبدلت ثيابها وذهبت إلى والديها في غرفتهم فوجدتهم قد استيقظوا ويجلسان في الشرفة المطلة على البحر كان المنظر رائعاً يسحر الألباب مشهد غروب الشمس عند نزول قرص الشمس الذهبي المائل إلى الإحمرار إلى البحر مخلفاً خلفه بقايا توهج الشمس في السماء... كان مشهد الغروب يثير مشاعر شادن بشدة ويوقظ بداخلها الحنين للحب... كان لمشهد الشمس وهى تنزل من عليائها لتعانق البحر أشد الأثر على نفس شادن التي كانت تجلس بعد الغروب وهى في حالة من الرومانسية الحالمة...

جلست شادن مع والديها بالشرفة وهى تشاهد منظر الغروب وتشرب الشاي اللذيذ الذي طلبته تليفونياً... بعد شربهم للشاي وتمتعهم بالغروب اقترح والد شادن عليهم النزول إلى بهو الفندق للجلوس بعض الوقت...

* * * * * * * *

كان اليوم التالي لوصول شادن للمصيف... عندما استيقظت في الساعة السابعة صباحًا كانت تعشق الإستيقاظ مبكراً عندما تكون بالمصيف لتمشي على شاطئ البحر قبل أن يستيقظ الناس فتشعر كأن البحر لها وحدها كانت تهوى أن تسير على الرمال الناعمة حافية القدمين وتحتضن

البحر بعينيها بزرقته الخلابة وصفحة مياهه الهادئة كانها بساط من حرير كانت شادن تعشق بشدة تواجدها في تلك البقعة في هذه الساعة المبكرة وحدها لا ترى سوى البحر والسماء والرمال وتتأمل في بديع صنع الخالق عز وجل...

كانت تمشي على الرمال وتتأمل البحر وتستنشق الهواء النقي لتلك المنطقة البكر وهى لا تشعر بالزمن حتى أفاقت من تأملاتها وقالت لنفسها:

- ياترى كم الساعة الآن... نظرت في ساعة يدها فوجتها الثامنة والنصف

فقالت لنفسها:

- أكيد ماما وبابا قد استيقظوا الآن...

عادت شادن بسرعة إلى الفندق و هى تشعر بالجوع الشديد وصعدت إلى غرفة والدها ووالدتها وطرقت الباب فوجدتهم استيقظوا وارتدوا ثيابهم

قالت لهما وهى تبتسم:

- صباح الخير...

قال والدها مبتسماً

- صباح الخير يا شادن... أكيد كنت تتمشين على البحر

قالت شادن هى تضحك:

- لقد استيقظت الساعة السابعة فالبحر هنا لا يقاوم...

قالت لها والدتها وهى تشدها من ذراعها:

- هيا بنا نتناول طعام الإفطار فأنا أكاد أموت جوعاً...

بعد تناولهم الإفطار ذهبوا جميعاً للجلوس على شاطئ البحر... كان الفندق ملاصقاً للبحر لا يفصله عنه سوى الرمال... جلست والدتها ووالدها على كراسي البحر المريحة المصنوعة من القماش تحت البنجالو وهو شئ شبيه بالشمسية ولكنه مصنوع من جزوع النخل والخوص الطبيعي ويحمي من أشعة الشمس اكثر من الشمسية المعتادة... أما شادن فقد جلست بجانبهم بعض الوقت تتحدث معهم وتداعبهم ثم قامت وتركتهم وحدهم يتحدثون وسارت بعيداً وهى تحتضن بيدها ديوان شعر "لجميل بن معمر" الشهير بجميل بثينة... كانت شادن لا تطيق أن تسافر إلى أي مكان دون أن تأخذ معها بعض الدواوين لشعرائها المفضلين... أحبت أن تنتقي بقعة هادئة لتجلس وتسبح في بحور الشعر... سارت شادن حتى أخذتها أقدامها إلى أحد الفيلات التابعة للفندق والتي يقوم بتأجيرها للمصطافين... انتقت شادن بقعة هادئة وجلست تقرأ في ديوان جميل بثينة... كانت تعشق هذا الشاعر الذي تعرفت من خلال شعره على أرقى نماذج الحب العذري وأصفاها وأشدها حرارة... كان شعر جميل يمتلئ بشكاوى النفس وما يلاقيه المحب المتيم من تباريح الوجد وقسوة الهجر ولكنه مع ذلك صادق اللوعة عف الضمير واللسان...

كانت شادن تقرأ قصيدة لجميل يقول فيها:

- أيا ريح الشمال اما تريني

أهيم، وأنني بادي النحول

- هبي لي نسمة من ريح بثنٍ

ومُنّيِ بالهبوب على جميل

- وقول: يا بثينة حسب نفسي

قليلك أو أقل من القليل

رفعت شادن عينيها عن الكتاب الذى بين يديها وهى تتنهد وتقول لنفسها:

- يا إلهي ما أروع تلك الأبيات... يالرقتك يا جميل بثينة...

شعرت شادن بشئ خفيف يصطدم بكتفيها فالتفتت سريعاً خلفها فوجدت كرة صغيرة بجوارها على الرمال وتقف بجانبها طفلة صغيرة في حوالي الثالثة من عمرها تنظر إليها بعينين واسعتين و على شفتيها ابتسامة بريئة وشقية نظرت شادن للطفلة الصغيرة وهى تتأملها... كانت طفلة بيضاء شعرها أسود ناعماً ووجهها مستدير ووجنتيها ورديتين وترتدي مايوه احمر اللون كانت الطفلة تقف مشتبكة اليدين وتنظر إلى شادن بخجل... أما شادن فلا تدرى لماذا انجذبت لتلك الطفلة فمدت لها يدها بحنان واندهشت شادن عندما وجدت الطفلة تمسك بيدها وتقترب منها وتطبع قبلة صغيرة على خد شادن فضحكت شادن وقد شعرت أن تلك الطفلة الرائعة قد أحبتها أيضاً فداعبت شعرها الحريري وهى تقول لها:

- ما اسمك...

فردت عليها الطفلة بصوت صغير رقيق وكلمات متلعثمة:

- نجلاء... وانتي اسمك إيه

ردت عليها شادن ضاحكة:

- اسمي شادن

فنظرت إليها الطفلة بعينيها الواسعتين المندهشتين وهى تردد بتلعثم:

- سادن

ضحكت شادن من قلبها واحتضنت الطفلة الجميلة وهى تقول:

- شادن يا نجلاء وليس سادن...

قالت لها نجلاء وهى تنظر لها:

- أتلعبين معي الكرة

قالت شادن وهى تنهض من جلوسها:

- نعم ألعب معك

أخذت شادن تلعب مع نجلاء الكرة وتلقيها بعيدا والطفلة تجري خلفها بمرح طفولي رائع وهى تضحك ضحكات صغيرة رنانة تخطف القلوب حتى سمعت شادن صوت عميق وقوي لرجل ينادي:

- نجلاء...

التفتت شادن نحو مصدر الصوت فوجدته رجل واقف بباب احدى الفيلات وهو يرتدي شورت أبيض وقميص قطني كحلي اللون... جرت نجلاء نحو هذا الرجل وهى تضحك وتشده من يده نحو شادن التي وقفت تبتسم لها من بعيد... اقترب الرجل بخطوات سريعة وقوية نحو شادن وهو يبتسم لها... قالت نجلاء للرجل وهى تشير نحو شادن:

- بابا... هذه صديقتي سادن...

ضحكت شادن مرة أخرى من قلبها لتلعثم نجلاء في اسمها وهى تقول لها برقة:

- يا نجلاء ألم أقل لك شادن بحرف الشين وليس سادن...

ضحكت الطفلة بمرح... كانت شادن تنظر إلى نجلاء وهى تحدثها ثم رفعت عيناها نحو الرجل الواقف أمامها والد نجلاء وقالت له ضاحكة:

- نجلاء لا تعرف أبداً أن تنطق اسمي فهو صعب عليها...

نظر إليها الرجل وهو يقول بصوت عميق:

- إسمك شادن... ياله من اسم جميل لم اعرف احد من قبل يحمل هذا الإسم...

ثم ابتسم وهو يقول لها:

- ولكن اتراكي تحملين صفاته...

اندهشت شادن وقالت له:

- أتعرف معنى إسمي...

قال الرجل وهو يضحك برقة:

- نعم يا شادن أعرف بالطبع معناه فالشادن هو الظبى الصغير النافر وكان الشعراء العرب يشبهون حبيباتهم بالشادن...

قالت له شادن بدهشة ممزوجة بالأعجاب :

- أتعرف أنك الإنسان الوحيد الذي عرف معنى إسمي دون أن أقول له...

ضحك وهو يقول:

- حقا...

قالت شادن برقة:

- نعم...

قال الرجل لشادن:

- أنا لم أعرفك بنفسي بعد... أنا إسمي مدحت... الدكتور مدحت عبد الوهاب...

نظر الدكتور مدحت إلى إبنته نجلاء وهو يبتسم ويقول لها:

- ما بك يا نجلاء تلتصقين بشادن هكذا...

كانت نجلاء الصغيرة تقف بجوار شادن وهى تمسك بيدها... ربتت شادن على رأسها الصغير بحنان وهى تقول ضاحكة:

- يبدو أنها قد وقعت في حبي مثلما وقعت أنا في حبها...

نظر مدحت إلى شادن وهو يقول مندهشاً:

- أتعلمين يا شادن أن نجلاء لم تكن تحب ان تقترب من أحد لذلك أنا مندهش أنها قد تعودت عليك بهذه السرعة

سألته شادن بمرح وهى تنظر بساعة يدها:

- ولكن أين والدة نجلاء... أما زالت نائمة إن الساعة الآن الثانية عشرة

نظر الدكتور مدحت إلى طفلته بحنان وهو يقول لها:

- نجلاء... إذهبي إلى جدتك وقولي لها أن ترسل لنا مع دادة أمينة بعض العصير...

جرت نجلاء الصغيرة نحو الفيلا لتخبر جدتها بما قاله والدها... وبمجرد أن اختفت نجلاء نظر مدحت إلى شادن وهو يقول لها بهدوء وبعينيه مسحة من الحزن:

- إن والدة نجلاء متوفية منذ ثلاث سنوات....

نظرت شادن نحو الفيلا التي دخلتها نجلاء وهى تقول بحزن وقد دمعت عيناها:

- مسكينة نجلاء... هى يتيمة

قال لها مدحت:

- لقد توفيت والدتها رحمها الله بعد وضع نجلاء بيوم واحد... فهى لم ترى أمها أبداً

كانت شادن تنظر في صمت نحو الفيلا التي دخلتها نجلاء وقد عرفت سبب إنجذابها بشدة لتلك الطفلة الصغيرة...

خرجت نجلاء من الفيلا وكانت بجوارها سيدة في حوالي الخامسة والأربعين تحمل صينية عليها أكواب من العصير قدمتها إليهم وهى تبتسم وتقول:

- دكتور مدحت... سيدتي علية تسأل إن كنت تريد شئ آخر...

جلست شادن على الرمال وهى تشرب في كوب العصير وجلس بجوارها مدحت أما نجلاء فكانت تمرح بالكرة بجانبهما...

قالت شادن لمدحت وهى تنظر نحو نجلاء:

- ولكنك يا دكتور مدحت لم تفكر بالزواج مرة أخرى بعد زوجتك رحمها الله...

قال مدحت وهو ينظر بدوره تجاه نجلاء:

- لم أرد يا شادن أن آتي لها بزوجة أب لا تكون حنونة عليها...

نظرت إليه شادن بإعجاب وهى تقول:

- أنت رجل نادر في هذه الأيام... تضحي بنفسك في سبيل إبنتك...

نظر إليها مدحت باندهاش وهو يقول:

- وما الغريب في ذلك يا شادن... أليس هذا هو الواجب على كل أب...

قالت له شادن برقة:

- لقد رأيت يا دكتور مدحت نماذجاً من البشر تفضل مصلحتها الشخصية على مصلحة أقرب الناس إليها... التضحية بالنفس الآن وإنكار الذات أصبحتا عملة نادرة....

قال لها مدحت بتعجب:

- كيف يا شادن...

قالت شادن وهى تنظر نحو البحر:

- معظم الرجال الذين في وضعك لا يفكرون مثلك فهم لا يفكرون سوى في أنفسهم... أنا لا أنكر طبعاً حقهم في الزواج مرة أخرى... بل المفروض زواجهم مرة أخرى لعصمة انفسهم ولتربية أبنائهم ولتنشئتهم في جو أسري صحيح... ولكن أنا أتعجب لمن لا يحسن

الإختيار ويتسرع في الزواج ويأتي بزوجة اب تسئ معاملة أطفاله... أتدري أنني قرأت مرة بإحدى الجرائد عن رجل طرد إبنه الوحيد إلى الشارع إرضاءً لزوجته الجديدة وجلس بجانبها يربي لها أطفالها هى من رجل آخر ويرمي بإبنه الوحيد إلى الشارع...

قال لها مدحت متعجباً:

- يا إلهي... أهناك بشر بمثل هذه القسوة...

قالت شادن:

- نعم هناك نماذج من البشر قلوبهم لا تلين...

نظرت شادن في ساعةيدها وهى تنهض وتقول:

- لقد تأخرت كثيراً على بابا وماما...

نهض مدحت بدوره وهو يقول لها برقة:

- سوف تمشين سريعاً هكذا...

ضحكت شادن وهى تقول:

- لن أجلس حتى تملون مني وتطردونني...

قال لها مدحت برقة وهو يبتسم:

- هذا لن يكون أبداً يا شادن...

ثم صمت قليلاً وأضاف بصوت منخفض وبه رنة خجل:

- ألن تأتي مرة أخرى لزيارة نجلاء...

قالت شادن بصوت مرح:

- بالطبع فأنا قد عشقت تلك الطفلة الرائعة...

قال لها مدحت وهو يريد أن يعرف المزيد عنها:

- أين تقيمين يا شادن...

قالت له شادن وهى تشير نحو الفندق:

- أنا أنزل بالفندق مع بابا وماما

قال لها مدحت وقد شعرت شادن بشئ من اللهفة في صوته يحاول أن يخفيها:

- أسوف تأتين غداً لرؤية نجلاء...

قالت شادن مؤكدة:

- بالطبع...

قال لها مدحت وقد حاول أن يعرف متى سوف تأتي:

- متى تستيقظين من النوم يا شادن...

قالت له شادن:

- في حوالي السابعة صباحاً فأنا أعشق التمشية على شاطئ البحر في تلك الساعة المبكرة من الصباح... إن شاء الله سوف اتي لزيارة نجلاء في حوالي الساعةالحادية عشر ...

ودعت شادن الدكتور وقبلت طفلته الصغيرة نجلاء التي لم تكن تريدها ان تمشي ولكن وعدتها شادن بأنها سوف تأتي غداً لزيارتها...

عند وصول شادن إلى الفندق تذكرت أنها قد نسيت ديوان الشعر على الرمال فخجلت من العودة مرة اخرى للبحث عنه...

* * * * * * * * *

نامت شادن بعد تناولها لطعام الغداء مع والديها وعند استيقاظها كانت الساعة
السادسة والنصف مساءً كانت شادن تشعر أنها قد نامت نوماً عميقا لم تنمه من قبل منذ الصيف الماضي فهى لا تنام مثل هذا النوم العميق أبداً إلا هنا في هذه المنطقة الرائعة حيث الهدوء والنقاء...
نهضت شادن بتكاسل لذيذ حيث أخذت دشاً دافئاً خرجت بعده منتعشة تماماً... وارتدت فستان قطني ناعم من اللون الفوشيا وذهبت لوالديها بغرفتيهما وهى تشعر برغبة قوية لشرب فنجان من الشاي اللذيذ الدافئ...
جلس والد شادن ووالدتها يشاهدان التليفزيون بينما كانت شادن تجلس بالشرفة تشرب فنجان الشاي وتنتظرغروب الشمس عندما لمحت مدحت وهو يقترب من الفندق كان يمشي على شاطئ البحر بهدوء وهو يتطلع إلى شرفات الفندق في محاولة للبحث عنها...
عندما لمحته شادن وقفت في محاولة لتلفت نظره... رآها مدحت بالفعل فابتسم وهو يشير لها بكتاب في يده فعرفت شادن أنه قد وجد ديوان الشعر الخاص بها... فقالت لوالديها وهى تخرج من غرفتيهما:

- سوف أذهب لحجرتي لآتي بكتاب أقرأ به...

نزلت شادن لتقابل مدحت وهى لا تدري لماذا تخفق دقات قلبها لم يكن مدحت وسيماً كما هو متعارف عليه ولكنه كان في نظرها جذاب للغاية لا تدري لماذا تنجذب إليه ربما للإبتسامة العذبة التي لا تفارق شفتيه أم لتلك النظره في عينيه- نظرة من الحنان المتدفق...

عندما لمحها مدحت وهى آتية نحوه ابتسم لها وهو يتقدم نحوها عندما اقترب منها همس برقة:

- مساء الخير يا شادن.. كيف حالك...

همست بدورها:

- كيف حالك يا مدحت...

ضحك مدحت وقال وهو يداعبها:

- مدحت فقط بدون دكتور...

ضحكت له شادن ضحكة عذبة وهى تقول:

- كنت سوف تقول مدحت فقط بدون ألقاب... أليس كذلك...

قال مدحت وهو يضحك:

- بالضبط هذا ما كان سيحدث...

ثم نظر إلى ديوان الشعر بيده وقال وهو يعطيه لها:

- انت تحبين الشعر مثلي يا شادن...

قالت له بفرحة:

- أنت أيضاً تحب الشعر...

قال مدحت برقة:

- أحب الشعر بجنون... لقد فرحت جداً عندما وجدت ديوانك هذا... أخيراً

وجدت من يحب الشعر مثلي..

ثم ضحك وهو يكمل:

- لقد كنت أعتقد أنني أنا الوحيد الذي يشترى دواوين الشعر.

ضحكت شادن وهى تسأله:

- ماذا تحب أيضاً.... لا تقل أنك تحب مشهد الغروب مثلي...

نظر إليها مدحت وهو يقول بجدية:

- والله أحبه جداً...

قالت شادن ضاحكة:

- أصدقك يا مدحت... كيف حال نجلاء

ابتسم مدحت وقال بحنان:

- لا تتصوري كم أحبتك نجلاء... فهى لا تكف عن الحديث عنك منذ الصباح...

كانت الشمس قد بدأت في الغروب... نظرت شادن للشمس وهى تغرب وقالت:

- انظر يا مدحت كم يثير مشاعري هذا المشهد...

نظر مدحت نحو السماء وهو يقول:

- يالرقة مشاعرك يا شادن... هذا المشهد يثير مشاعرك لأنك مرهفة الحس

ابتسمت شادن ونظرت نحو مدحت وهى تقول:

- لا تمدحني فسوف اصدقك...

نظر إليها مدحت ولم يتفوه بكلمة لكنها شعرت للحظة أنه قد حبسها في عينيه كانت عيناه بحر من الحنان... لا تدري لماذا شعرت في تلك اللحظة بأن هذان العينان سوف يكونان مرفأها الأخير...

صعدت شادن إلى غرفة والديها وهى تحمل بيدها ديوان الشعر...

دخلت دون أن تتفوه بكلمة وجلست بالشرفة تفكر لم يشعر والديها بأنها شاردة التفكير لانشغالهم بمشاهدة التليفزيون... جلست شادن تفكر بمدحت وطفلته الصغيرة نجلاء.. كانت تشعر تجاه هذا الرجل وابنته بحنان غريب... كانت شادن تسترجع بذاكرتها ملامح مدحت.. كان مدحت في اواخر الثلاثين طويل القامة قوي الجسد... أسمر البشرة عيناه واسعتان تفيضان بالحنان... أما شعره فكان أصلعاً بعض الشئ...

كانت ملامح مدحت تفيض بالحنان والقوة والدفء ابتسمت شادن وقالت لنفسها:

يبدو أنني أنجذب لمدحت لأنه يشبه ممثلي المفضل يول براينر

شعرت شادن وهى تفكر بمدحت بفضول شديد لمعرفة المزيد عنه...

* * * * * * * *

الفصل الرابع عشر

كانت الساعة السابعة والنصف صباحاً عندما كانت شادن تستعد للنزول من غرفتها للتمشية على شاطئ البحر كعادتها... كانت ترتدي فستان قطن أصفر اللون وفي أذنيها قرط أصفر اللون كذلك أما شعرها فقد عقدته إلى أعلى على هيئة ذيل حصان بفيونكة صفراء... خرجت شادن من الفندق وأخذت تسير على الرمال الناعمة والهواء يداعب خصلات شعرها حتى أنها شعرت برغبة شديدة في ترك شعرها لمداعبة الهواء فمدت يدها وازاحت الفيونكة التي تعقد بها شعرها فانسدل على كتفيها في تمرد كانه كان حبيس رغما عن إرادته... استنشقت شادن رائحة عطر رجولي عرفته على الفور فاستدرات إلى الخلف وابتسمت عندما وجدت مدحت يقترب منها بخطوات قوية وسريعة قائلاً:

- صباح الخير يا شادن...

قالت لها شادن ضاحكة:

- صباح الخير يا مدحت... أنت تستيقظ مبكراً مثلي..

قال لها مدحت مبتسماً:

- نعم...

لم يقل لها مدحت أنه قد استيقظ مبكراً ليراها لقد خجل من قول ذلك فهو لم تكن عادته الاستيقاظ مبكراً في أجازاته...

قالت له شادن:

- أما زالت نجلاء نائمة...

قال لها وهو يضحك:

- نعم فهي تسهر حتى منتصف الليل

ضحكت شادن وقالت:

- حقاً كنت أعتقد أن الأطفال ينامون مبكراً...

قال لها مدحت ضاحكاً:

- يبدو أن هذا كان في الماضي... أما تلك الأجيال الصغيرة من الأطفال فهم ينامون بعد منتصف الليل...

ضحكت شادن وأخذت تسير هى ومدحت على الرمال الناعمة يتحدثان في كل شيء وطال حديثهما وهما لا يشعران بالوقت كانهما يعرفان بعضهما من زمن بعيد... شعرت شادن بألفة قوية تجاه هذا الرجل...

كانت شادن تريد أن تعرف عن مدحت كل شئ.. لهذا سألته:

- ما هو تخصصك يا مدحت....

أجاب مدحت:

- أنا أستاذ مسالك بولية متخصص في علاج امراض الكلى...

نظرت إليه شادن وهى تقول:

- لماذا يا مدحت الفشل الكلوي أصبح منتشراً هذه الأيام...

قال لها مدحت:

- أسباب الإصابة بمرض الفشل الكلوي كثيرة.. فمن أسبابه الاصابة بمرض البلهارسيا ومرض السكر والالتهاب المزمن للوزتين كذلك تعاطي بعض الادوية بكميات كبيرة دون ملاحظة دقيقة مثل ادوية الروماتيزم والمضادات الحيوية وتلك الأسباب قد ينشأ عنها إلتهاب

حاد مزمن بالكليتين ينشأ عنه هبوط في وظائف الكلى فتتجمع السموم في الدم ويصاب المريض بالفشل الكلوي.

نظرت إليه شادن بذعر وهى تقول:

- يا إلهي وماالعمل يا مدحت لتفادي الإصابة بهذا المرض...

ابتسم لها مدحت برقة وهو يقول:

- لا تنزعجي هكذا يا شادن فالمشكلة الأساسية تنحصر في انعدام الوعي العام لدى الفرد...

سألته شادن:

- كيف....

قال لها موضحاً:

- لو أن الفرد لديه الحد الأدنى من الوعي لتم تفادي الإصابة بالكثير من الأمراض...

قالت شادن وهى تبتسم:

- نعم فالوقاية خير من العلاج...

قال لها مدحت:

- بالضبط فلو أن كل إنسان كان لديه المعرفة الجيدة بأسس التغذية الصحيحة وما يحتاجة من سعرات حرارية بالإضافة لممارسة بعض الرياضة لتم السيطرة إلى حد ما على الإصابة بمرض السكر وامراض القلب هذا على سبيل المثال..

- قالت له شادن:

- نعم معك حق فالتليفزيون الآن لا هم له سوى توعية الناس ألا ترى إعلانات البلهارسيا والإيدز
- ضحك مدحت وهو يقول:
- نعم بالطبع أراها

قالت شادن:
- أتعتقد يا مدحت أن تلك الإعلانات يمكن تأتي بنتيجة...

قال لها مدحت بجدية:
- بالطبع يا شادن توعية الناس المستمرة تأتي بنتائج مذهلة...

سكت مدحت قليلاً وهو ينظر تجاه البحر ثم قال بصوت حالم:
- أتدرين يا شادن بماذا أحلم...

قالت له شادن برقة:
- بماذا يا مدحت...

قال مدحت وهو ينظر إليه وبعينيه نظرة الحنان تلك التي تثبت شادن في مكانها:
- أحلم بأن يكون بداخل الناس تعاطف كامل تجاه الآخرين فلو أن كل فرد شعر في لحظة بأنه يمكن أن يسقط مريض ولا يجد ثمن العلاج لنشأ بداخلهم إلتزام بالتبرع بصفة مستمرة كل شهر ولو بجنيه واحد...

صمت مدحت لحظات وهو ينظر إلى الأفق البعيد ثم قال:
- أتدرين يا شادن لو أن كل فرد رجل كان أو امرأة أو طفل زرعنا بداخله حب الآخرين لو ذهب كل فرد وتبرع بجنيه واحد شهرياً لأمكن عمل الكثير...

قالت له شادن بحماس:
- نعم... يالروعة هذا الحلم يمكن أن تنشأ هيئة خاصة بجمع تلك التبرعات الخيرية التي يذهب إليها الناس للتبرع عن طيب خاطر بصفة دورية كل شهر أو كل أسبوع أو كل يوم ولو بجنيه واحد كل فرد حسب مقدرته المادية لأمكن إنشاء الكثير من المستشفيات والمدارس وملاجئ الأيتام...

نظر إليها مدحت بحنان متدفق وقد شعر أنهما يحلمان نفس الحلم ويتكلمان بلغة واحدة ويعزفان نفس اللحن وبنفس الوتر... وتر الحب والحنان والعطاء بلا حدود ودون مقابل...
ونظرت شادن إليه وقد شعرت بأن هذا الرجل هو حلمها المنشود، كم بحثت عنه طويلاً ولكنها قد وجدته أخيراً أنه مرفأها الأخير كانت تنظر بعينيه وقد شعرت بانها حبيسة تلك العينين وحنانهما المتدفق كان يسجنها بعينيه ويحتويها فلا تشعر بالزمن ولا بأي شئ حولها سوى هاتين البحيرتين من الحب والحنان...
أفاقت شادن من شرودها وهى تقول له بصوت متهدج كأنها كانت تسبح لمسافة طويلة :

- يا إلهي... لقد تأخرت كثيراً كم الساعة...

لقد نسيت شادن أنها ترتدي ساعة بيدها... نسيت كل شئ حولها سوى هذا الرجل الواقف بجانبها...
نظر مدحت بساعة يده وهو يقول لها برقته المعهودة:

- الساعة التاسعة والنصف...

قالت شادن وهى تهم بالإنصراف:

- ياه... زمان ماما وبابا ينتظراني...

قال مدحت بصوت هامس ونظرة رجاء بعينيه:

- ألن تتناولي معي الإفطار...

قالت له برقة:

- لن أستطيع يا مدحت...

قال لها برقة والإبتسامة لا تفارق شفتيه:

- سوف أطلق سراحك لتناول الإفطار مع ماما وبابا لكن بشرط...

ضحكت شادن وهى تقول:

- ما هو...

قال لها وهو ينظر بعينيها:

- بعد الإفطار سوف تأتين لرؤية نجلاء... أليس كذلك...

قالت له شادن بحنان بالغ وقد تذكرت طفلته الصغيرة الرائعة:
- نعم بالطبع سوف آتي... كم أوحشتني نجلاء...

ودعته شادن وانصرفت إلى الفندق فوجدت والدها ووالدتها يهمان بالدخول إلى المطعم... وما أن رأتها والدتها قالت لها مبتسمة:
- لقد موتنا من الجوع....

قالت شادن وهى تضحك:
- أنا أيضاً جوعانة جداً...

قال لها والدها وهو يربت على كتفيها مبتسماً:
- شادن تعشق البحر ولا تستطيغ فراقه

قالت شادن بصوت حالم وهى تتذكر مدحت:
- نعم لا أستطيع فراقه

بعد تناول الإفطار جلست شادن مع والديها على شاطئ البحر... تتناول فنجان من القهوة بعد أن فرغت منه همت بالوقوف وهى تقول:
- سوف أذهب لأتمشى بعض الوقت...

قالت لها أمها:
- منذ وصولنا إلى هنا يا شادن ونحن لا نراك تقريباً... لقد خطفك البحر منا...

قالت شادن ضاحكة:
- يا ماما أنا لا أراه كثيراً... فنحن لا نأتي إلا أسبوعين في السنة إن البحر أوحشني جداً...

قال أبوها لأمها وهو يضحك:
- أتركيها يا عفت على حريتها أتريدي أن تحبسيها بجانبنا... فنحن قد كبرنا في العمر ونفضل الجلوس في هدوء... أما هى فشباب وتفضل الحركة...

نظرت إليه زوجته وهى تدعي الغضب قائلة:
- لقد كبرت أنت لوحدك أما أنا فمازلت شباب...

ضحك زوجها من قلبه وضحكت معه شادن من كل قلبها على معاكسة والدها لوالدتها ثم انصرفت إلى ميعادها مع مدحت...
عندما وصلت شادن إلى الفيلا التي يؤجرها مدحت وجدت نجلاء تلعب على الشاطئ في الرمال وما أن رأتها حتى جرت نحوها بمرحها الطفولي الرائع وهى تناديها :

- سادن... سادن...

غرقت شادن في الضحك وهى تصحح لنجلاء إسمها للمرة العاشرة:

- شادن يا نجلاء بحرف الشين...

خرج مدحت من الفيلا عندما سمع نجلاء تنادي شادن فعرف بوصولها... اتجه ناحية نجلاء وشادن مبتسماً وهو يقول:

- أما زالت تخطئ بإسمك...

ضحكت شادن وقبلت نجلاء وهى تقول:
لا أدري ماذا أفعل لها حتى تنطق الإسم صحيحاً...
قال لها مدحت برقة:

- اجلسي معها كثيراً حتى تعرف ان تنطق الإسم صحيحاً...

إبتسمت له شادن وفهمت ما يرمي إليه مدحت...
جلس مدحت بجوار شادن على الرمال وهويقول لها:

- أريد أن أعرف كل شئ عنك يا شادن...

ابتسمت شادن وهى تقول:

- ماذا تريد أن تعرف...

قال مدحت باهتمام:

- كل شيء...

قالت له شادن بطريقة مسرحية وهى ترفع يدها ضاحكة:

- اسمي شادن... أعمل محامية بمكتب والدي... اقطن بحي المعادي... أعشق البحر والموسيقى والشعر والفن التشكيلي وأعشق اللون الوردي والاطفال وضوء القمر ولي أخ واحد إسمه مراد... ماذا تريد أن تعرف أيضاً...

ضحك مدحت لطريقتها وهو يقول:
- لم تسأليني بدورك... ألست مهتمة بمعرفة شئ عني...

قالت شادن مبتسمة لصراحته:
- على العكس أنا مهتمة جداً لمعرفة كل شئ عنك...

ضحك مدحت وهو يقلد طريقتها في تعريفها بنفسها:
- إسمي مدحت عبد الوهاب طبيب وأستاذ بكلية الطب عمري تسعة وثلاثون عام... والدي رحمه الله كان مهندساً زراعياً ولدينا عزبة رائعة... وأقطن بحي جاردن سيتي والدتي طيبة جدا سوف تحبينها يا شادن ... أعشق اللون الأبيض ولدي طفلة صغيرة إسمها نجلاء أعتقد أنك تعرفينها...

ضحكت شادن من قلبها ثم صمتت للحظة وقالت بجدية:
- أريد أن أعرف المزيد...

نظر إليها مبتسماً وقد عرف بذكائه ما تلمح إليه فقال:
- تريدين معرفة قصة زواجي...

خجلت شادن لأنه عرف ما تفكر به وأدارت وجهها نحو الجهة الأخرى قال لها مدحت برقة متناهية:
- شادن إنظري إلي...

فنظرت إليه شادن وقد اكتسى وجهها ببعض حمرة الخجل وشعرت بحرارة تجتاحها من نظراته الحانية لها وهو يقول:
- أنا أريد أن تعرفي عني كل شئ... كان زواجي يا شادن منذ حوالي خمس سنوات... عزة زوجتي رحمها الله كانت إبنة عمي... وهى يتيمة الأبوين وكانت تعيش معنا بالمنزل... كنت طوال عمري أنظر إليها وأعاملها كأختي تماماً... فأنا لي أخت واحدة وكنت أعتبر عزة أختي الثانية، كنت أشعر تجاهها بالشفقة الشديدة، فهى يتيمة مسكينة منذ طفولتها منذ وفاة والديها بحادث كذلك كانت صحتها ضعيفة وإن لم تكن مصابة بأي أمراض إلا أن جسدها كان نحيلاً بطبيعته وكانت مقاومتها ضعيفة... كانت عزة في الثانية والعشرين من عمرها وأنا

في الرابعة والثلاثين عندما حدثتني أمي بشأن زواجي منها... كنت أشعر بالشفقة تجاهها والرغبة في محاولة إسعادها، كذلك لم يكن هناك أي فتاة بحياتي يبدو أن تفوقي بدراستي واهتمامي بعملي واخذي للحياة بجدية بعض الشئ لم يترك لي فرصة للتعرف بأي فتاة... لذلك لم أرفض عندما فاتحتني أمي بشأن عزة ... وبعد زواجنا بعامين حملت المسكينة ولكنها لضعف صحتها رغم ملاحظتي الشديدة لها وإشراف طبيبها المتخصص لها لم تتحمل أعباء الحمل والولادة فتدهورت صحتها وتوفيت بعد ولادة نجلاء بيوم واحد...

كان مدحت يحكي لها وينظر إليها فلمحت شادن بعض الحزن بعينيه فمدت يدها بتلقائية ومسحت بهاعلى وجه مدحت في محاولة لإبعاد الحزن عنه عند هذا أمسك مدحت بيدها وقبلها وهو ينظر بعينيها ويقول برقة وضعف:

- لا تتركيني يا شادن... لا تتصوري كم أحتاج إليك

قالت شادن بهمس:

- لن أتركك أبداً يا مدحت...

اقتربت منهما نجلاء الصغيرة وهى تريد أن يشاركاها اللعب فرمت لهما بالكرة، قام مدحت وشادن وهما يضحكان لشقاوتها وأخذا يلعبان معها بالكرة، لم يشعروا بمرور الوقت إلا عندما خرجت مربية نجلاء وهى تقول لهم:

- دكتور مدحت ... الغداء جاهز

نظرت شادن بساعتها وهى تقول:

- يا إلهي كم الساعة الآن... تصور الساعة الثالثة... يجب أن انصرف...

أمسك مدحت بيدها وهو يقول:

- شادن سوف تتغدين معي... لا تتصورين كم تريد أمي أن تتعرف عليك... لكنها مريضة... فهى مقعدة منذ حوالي عشرسنوات... ثم ابتسم وهو يقول:

- وإن كانت تراقبنا من بعيد...

نظرت شادن نحو الفيلا فوجدت سيدة في حوالي السبعين من عمرها تجلس على مقعد متحرك بمدخل الفيلا وهى تنظر نحوهم مبتسمة... استسلمت شادن وهى لا تريد أن تحرج مدحت الذي يرجوها بشدة وكذلك والدته المريضة التي تنظر إليهم من بعيد، لكنها قالت له وهى تضحك:

- طيب بابا وماما لابد أنهم ينتظراني على الغداء...

قال لها مدحت:

- متى تتغدون في العادة...

قالت شادن:

- حوالي الثالثة والنصف...

قال لها مدحت وهو يضحك:

- حسناً الساعة الان الثالثة... تتناولين معنا الغداء ثم تذهبين لماما وبابا قبل أن يتناولا غدائهم...

قالت له شادن:

- ثم ماذا أقول لهما عندما يطلبون الغداء

ضحك مدحت وهو يقول لها:

- ليس هناك إلا ثلاث أشياء...

قالت شادن بجدية:

- ما هى...

قال لها مدحت ضاحكاً:

- إما أن تتناولين معهما طعام الغداء ثانياً أو تتحججين بأن معدتك تتعبك ولا تستطيعين تناول الغداء أو تقولين لهما الحقيقة

نظرت إليه شادن وهى حائرة ثم قالت:

- ولماذا لا تعفيني من تناول الغداء معك حتى نتلاشى كل هذا...

أمسك مدحت بيدها وهو يقول بإصرار وجدية:

- سوف تتغدين معي يا شادن وتتعرفين بأمي ثم تذهبين لوالديك وتقولي لهم الحقيقة فنحن لا نفعل شيئاً نخجل منه حتى تكذبي على والديك...

نظرت إليه شادن بإعجاب لصراحته ووضوحه و رجولته وصممت على تناول الغداء معه...
بعد تناول شادن لطعام الغداء مع مدحت ووالدته ونجلاء الصغيرة... خرج مدحت معها وهو يقول لها:
- سوف أوصلك إلى الفندق...

أثناء سيرهم قال لها مدحت:
- ما رأيك يا شادن بوالدتي...

ابتسمت شادن وهى تقول له:
- لم أرى أحد في حياتي بمثل هذه الطيبة والرقة مثل والدتك

قال لها مدحت:
- لو عرفتيها يا شادن بحق سوف تحبينها جداً...

قالت شادن ضاحكة:
- لقد أحببتها يا مدحت بالفعل فقد وقعت في غرامها من أول نظرة مثل نجلاء تماماً...

قال لها مدحت وهويضحك:
- أوقعتي في حب نجلاء أيضاً من أول نظرة ؟...

قالت شادن ضاحكة:
- نعم...

أوقفها مدحت وهو يمسك بكتفيها وينظر بعينينها ويقول بمنتهى الرقة:
- هما فقط... ألم تقعي في حب أحد آخر...

همست شادن بخجل:
- مدحت... ماذا تقصد...

قال لها مدحت بإصرار...
- سوف آتي معك الآن للتعرف بوالديك...

إنزعجت شادن وقالت له:
- ماذا تقول:

قال لها بهدوء:
- ألم تتعرفي بوالدتي... أنا أيضاً أريد أن أتعرف بوالديك...

قالت له شادن:
- لماذا...

قال لها مدحت بدهشة:
- ألا تعرفين لماذا يا شادن:

قالت شادن بصوت منخفض:
- لماذا يا مدحت...

قال لها مدحت بجدية وإصرار:
- لأننا سوف نتزوج... سوف أطلب يديك من والدك...

ضحكت شادن ولم تجب...
فنظر إليها مدحت وهو يقول:
- لماذا تضحكين أنا أتكلم بجدية....

نظرت إلى عينيه وقالت برقة وهى تحاول أن تتأكد أنه يتكلم حقاً بجدية:
- بهذه السرعة... نحن لم نعرف بعضنا إلا منذ ثلاثة أيام فقط...

نظر إليها مدحت بحب وحنان وهو يقول:
- بل منذ ثلاثة سنين...

اندهشت شادن وسألته:
- لا أفهم...

قال لها مدحت بجدية:
- ألم أعرفك منذ ثلاثة أيام... كل يوم عندي بعام كامل...

ثم أضاف برقته المعهودة وهو ينظر بعينيها:

- معرفة الناس يا شادن لا تقاس بالأعوام وطول الوقت أبداً إنها تقاس بأشياء أخرى ... بمدى الإنجذاب النفسي والتوافق الروحي والانسجام بين الطرفين فنحن يمكن أن نشعر بإنجذاب شديد نحو بعض الناس رغم معرفتنا لهم لوقت قصير ولكن نشعر باقترابنا الشديد منهم كأننا نعرفهم منذ أعوام وهو لتلاقي أرواحنا معهم بينما نشعر بنفور شديد وعدم إنسجامنا مع أناس نعرفهم منذ سنين وهذا لنفور أرواحنا مع أرواحهم...

ثم نظر إليها برقة وهو يداعب وجنتيها برقة ويقول لها بحنان:

- أما أن الأوان لوضع حد لنفورك هذا أيتها الظبية الشاردة

همست شادن:

- مدحت...

قال لها بصوته الدافئ وهو ينظر إليها بعينيه كأنه يحتويها:

- إعلمي يا شادن أنني لن أتركك تضيعين مني... لقد آن الأوان لتستقري بقلب وعقل وحياة رجل يحبك ويعرف قيمتك جيداً...

ابتسمت له شادن ومسحت على وجهه برقة وهى تقول:

- اعلم أنت أنني لن أتركك تضيع منى سوف أطاردك في كل مكان حتى في أحلامك ... آه يا مدحت كم حلمت بك كنت أعتقد أنك وهم كم حلمت برجل يكون الخير بداخله نبع فياض أتعتقد بأنني سوف أضيعك بعد أن وجدتك... أنت من سوف أرسي سفينتي على بره..

احتضن مدحت يد شادن بيده وهو يهمس لها بأبيات أمير الشعراء "أحمد شوقي" قائلاً:

- هام الفؤاد بشادنٍ
أَلِفَ الدَّلالَ عَلَى المَدَى
- أبكى، فيضحك ثغره
والكم يفتحه الـنّـَدى

ابتسمت له شادن وهمست له بصوت حالم بأبيات "ناجي" قائلة:

- عجباً لنا في لحظة صرنا

متفاهمين بغير ما أمدِ!

- يا من لقيتك أمس! هل كنا

روحين ممتزجين في الأبد؟!

وقفا ينظران لبعضهما وبكل منهما رغبة قوية لاحتضان الآخر حتى يتلاشيان... كانا كأنهما نفس واحدة انشطرت نصفين وظل كل نصف منهما يبحث عن الآخر منذ الأبد تائهاً ضائعاً حتى إلتقى الشطران أخيراً في تلك البقعة من الأرض... أخيراً التقى الشطران وأصبحا نفساً واحدة...

* * * * * * * * *

إنتهت